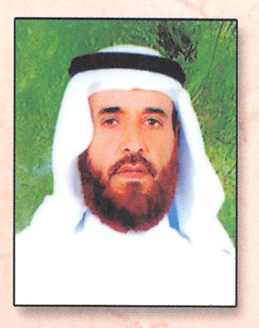
أُهِيبُ بِقَومِي:

وَقَفَاتٌ بينَ التَّاريخِ والسِّياسَة



القسم الثاني

فائز بن موسى البدراني الحربي

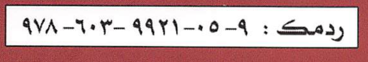


مؤلف الكتاب

- الاسم: فائز بن موسى البدراني الحربي.
- تخرج في معهد عنيزة العلمي سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- حصل على دبلوم إدارة المستشفيات من معهد الإدارة العامة سنة ١٣٩٨هـ، ثم التحق بالعمل الوظيفي وجمع بين العمل والدراسة على النحو التالي:
  - إكمال دورة متقدمة في الإدارة الصحية ـ الولايات المتحدة الأمريكية.
  - درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
  - درجة الماجستير في إدارة الصحة والمستشفيات ـ جامعة الملك سعود (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).
- العمل السابق:
  - المدير التنفيذي لمركز الأمير سلطان لأمراض وجراحة القلب (١٤١٢هـ ـ ١٤٢٠هـ).
  - مستشار بحوث تاريخية ـ دارة الملك عبدالعزيز (١٤٢٠هـ ـ ١٤٢٦هـ).
  - مدير مركز حمد الجاسر الثقافي (١٤٢٦هـ ـ ١٤٢٨هـ)
- العمل الحالي: باحث متفرغ.
- المؤلف له اهتمام كبير في بحوث التاريخ والأنساب، وصدر له أكثر من ٣٥ إصداراً، إلى جانب العديد من المحاضرات والبحوث والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات التاريخية المتخصصة.

منشورات دار البدراني للنشر
ص.ب ٩٢٨٢٩ الرياض ر.ب ١١٦٦٣
هاتف وفاكس ٤٩١٨١٣١

سعر النسخة ٢٠ ريالا سعوديا



مطبعة سفير هاتف ٤٩٨٠٧٨٠ ـ ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض

أهيب بقومي:

وقفات بين التاريخ والسياسة

أهيب بقومي:

وقفات بين التاريخ والسياسة

القسم الثاني

فائز بن موسى البدراني الحربي

الطبعة الأولى

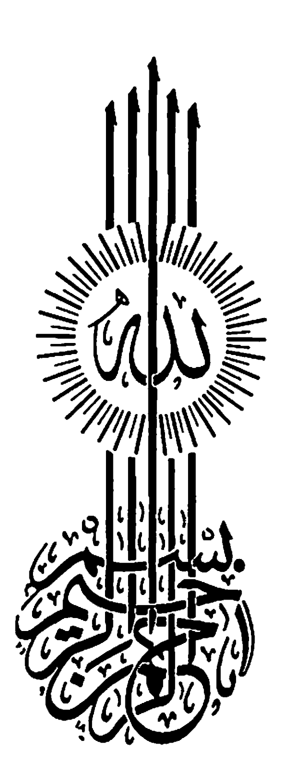
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

ح دار البدراني للنشر والتوزيع . ١٤٣١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحربي ، فائز موسى
أهيب بقومي وقفات بين التاريخ والسياسة ، القسم الثاني / فائز موسى الحربي ـ الرياض، ١٤٣١هـ.
٢٥٦ ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٩ ـ ٠٥ ـ ٩٩٢١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ ـ المقالات العربية ـ السعودية أ . العنوان
ديوي ٠٨١ ١٤٣١/١٠٨١

رقم الإيداع : ١٤٣١/١٠٨١
ردمك : ٩ ـ ٠٥ ـ ٩٩٢١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

منشورات دار البدراني للنشر
ص.ب ٩٢٨٢٩ الرياض ر.ب ١١٦٦٣
هاتف وفاكس ٤٩١٨١٣١


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويـات

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وبعد؛

فهذا هو القسم الثاني من مجموعة مقالات كتبتها في صفحة مقالات في جريدة الجزيرة تحت زاويتي التي أسميتها: (أهيب بقومي)، وقد خصصت هذا القسم لمجموعة المقالات والوقفات المتعلقة ببعض المسائل التاريخية أو السياسية أو تلك الخواطر التي تهم المؤرخين أو تؤرقهم سواء تعلقت بالتاريخ أو المؤرخين أنفسهم، أو ببعض المسائل السياسية المحلية أو العالمية.

وقد كان لتخصصي في مرحلة الدكتوراه في مجال التاريخ الحديث أثر على توجهي للكتابة في المواضيع التاريخية والسياسية، استجابة لطلب بعض الأصدقاء والمحبين، وتفاعلاً مع بعض الحوادث السياسية أو القراءات التاريخية التي تشد الاهتمام، أو تثير الشجن!

أما سبب تسمية هذه الزاوية بالاسم الموضح على الغلاف، فقد كان اشتقاقًا من قول الشاعر:

أهيـــبُ بقـــومي إلى المكرمـــاتِ
فهل مـن مُلَـبٍّ وهـل مـن مُجيبْ؟

وبعد أن يسر الله لي الكتابة في هذه الزاوية ما يقارب الثلاث سنوات ارتأيت جمع هذه المقالات في كتاب يحفظها لمن يرغب الاطلاع عليها للفائدة أو للمتعة، وكما سبق أن أوضحت فقد قسمت هذه المقالات إلى ما يتعلق بهموم الوطن اليومية جعلته في القسم الأول، وما يهم الباحثين والمؤرخين جعلته في القسم الثاني، وهو هذا الكتاب، وما كان عن أعلام جعلته قسمًا ثالثًا: وأصدرته ضمن كتيب أسميته: "أعلام تشرفت بالكتابة عنهم".

آملاً؛ أن يجد القارئ والمتابع في هذه المقالات ما يجعلها تستحق جمعها في هذا الكتاب.. والله الموفق.

فائز بن موسى البدراني الحربي

الرياض/ تحريرًا في ٢٠ صفر ١٤٣١هـ.

أهيب بقومي:

وقفات بين التاريخ والسياسة

١- الخرافة آفة*

الخرافة بعبارة موجزة هي كل قصة أو خبر أو معلومة أساسها عدم الصحة والبعد عن الحقيقة والواقع .. والملاحظ أنّ انتشار الخرافة في المجتمع يتأثر بمستوى العلم والوعي، فكلما زاد العلم والوعي، قلّ رواج الخرافة، وكلما زادت نسبة الأمية والجهل والسطحية، زاد تغلغل الخرافة وانتشارها في المجتمع.

ولهذا فإنّ الخرافة لا تنمو وتنتشر إلاّ في مجتمع متهالك ومعتل وضعيف، أمّا المجتمع الصحيح البنية فهو يمقت الخرافة ويحاربها ويعدّها داءً خبيثاً لا يقبله الفكر المستنير.. ولأنّ الإسلام الحنيف يقوم على التنوير وإعمال العقل وزرع الفكر القويم، فقد نهى عن الكذب وحرّمه تحريماً شديداً، لأنّ الكذب ضياع الحقيقة، وضياع الحقيقة يعني الضلال والانحراف عن طريق الحق، الذي وصفه الله بالطريق المستقيم، أو سواء السبيل، فقال ﷺ : "إنّ الرجل ليكذب الكذبة لا يلقي لها بالاً فتبلغ الآفاق".

---

* الأربعاء ٤ رجب ١٤٢٨هـ (١٨/٧/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٧١١).

والخرافة أساسها كذبة أطلقها أحد البسطاء أو الخبثاء في مجموعة من الناس - يصلحون لاستقبالها ونشرها - لتبدأ في التمدُّد والانتشار أفقياً ورأسياً، وهذا ما نبَّه إليه المصطفى بقوله: "فتبلغ الآفاق" .. أي تنتشر في أكبر مساحة جغرافية في زمن مروِّجيها، وهذا هو الانتشار الأفقي، ثم تنتقل إلى الأجيال اللاحقة بمزيد من البهرجة والإضافات، وهذا هو الانتشار الرأسي.

ومع أنّ الخرافة والدجل آفة تعاني منها أمم كثيرة في هذه المعمورة، وخصوصاً فيما يتعلّق بالعبادات والطقوس الدينية التي تثقل كاهل الشعوب الضائعة وتعيق نهضتها بما تضعه من قيود وأغلال ما أنزل الله بها من سلطان، إلاّ أنّنا بحمد الله لا نعاني من تلك الانحرافات والممارسات لتحرُّر عقيدتنا من سيطرة دعاة الضلال .. لكننا على المستويين الأدبي والاجتماعي نعاني من سيطرة الخرافة، ونفتقر إلى إعمال الفكر والمنطق، ونعاني من تغلّب الموروثات التاريخية والاجتماعية على الاستنباط العلمي، ونعاني من سيطرة الراوي والشاعر بدلاً من سيطرة العالِم والمتخصص .. لا أعمِّم هذا

على الجميع لكنه الغالب على السواد الأعظم من الناس في مجتمع الجزيرة العربية.. ألسنا الذين نلتمس إثبات القصص والأخبار في القصائد والأشعار؛ في الوقت الذي يبحث عنها أبناء الدول المتقدمة في المدوّنات والوثائق والنقوش والحفريات الآثارية، إنهم يبحثون عن التأكد من صحة الأنساب باستخدام اختبار البصمة الوراثية DNA، في حين نتمسك برواية الأجداد ونثبت انتساباتنا بأشعار المفاخرات والأمجاد .. نضحك من تفاني الآخرين في استكشاف الأعماق والآفاق، ويضحكون على سذاجتنا وانشغالنا بقال الشاعر وقال الراوي!



٢- أعمارنا تحطم الأرقام العالمية!! *

تحدثت في المقال السابق عن سلطة الراوي وسذاجة المتلقي التي تتميز بها الشعوب غير الواعية، حيث يميل المتلقي فيها إلى قبول الأقاويل والمعلومات دون أن يجهد نفسه في التفكير في مدى صحتها حتى وإن كانت تتجاوز حدود الواقع وتتنافى مع العلم والمنطق.. ولأن مجتمعنا العربي عموماً يقع في تلك الدائرة؛ فسأختار اليوم مثالاً حياً لذلك، وهو اعتقادنا بوجود معمرين في بلادنا تصل أعمارهم إلى ١٢٠ و١٣٠ سنة، بل تتجاوز ذلك بكثير!!

وإذا أردنا أن نخضع ذلك للعلم والمنطق، فإن بلادنا ليست على رأس قائمة الدول المتقدمة في متوسط العمر؛ لأن تقارير منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠٠٧م تشير إلى أن أعلى الدول في

---

* الخميس ١٢ رجب ١٤٢٨هـ (٢٦/٧/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٧١٩).

متوسط العمر هي جمهورية سان مارينيو (دويلة صغيرة في إيطاليا)، إذ يبلغ متوسط عمر الرجل فيها ٨٠ عاماً، تليها كل من أستراليا وآيسلندا واليابان والسويد وسويسرا ٧٩ عاماً، ثم كندا وإسرائيل وإيطاليا ٧٨ عاماً، ثم فرنسا وبريطانيا ونيوزلندا ٧٧ عاماً، ثم ألمانيا ٧٦ عاماً ثم أمريكا ٧٥ عاماً ...إلخ. أما المملكة فإنها تقع في منتصف القائمة بمعدل ٧٢ عاماً تقريباً.

وإذا ما عرفنا أن اليابان وهي من أفضل دول المعمورة في مجال صحة الإنسان ومعدل بقائه على قيد الحياة؛ فإن وزارة الصحة اليابانية تفيد أن عدد المعمرين لديها الذين تجاوزت أعمارهم ١٠٠ سنة سوف يبلغون أكثر من ٢٨ الف نسمة بنهاية عام ٢٠٠٧م، وهو أعلى نسبة من السكان في العالم.. لكن الذي يهمني أن يعرفه بنو يعرب أن التقارير الرسمية لوزارة الصحة اليابانية التي لا تعتمد على (يقولون) تفيد أن أكبر معمر في اليابان هي المعمرة (يوني ميناغوا) التي وصل عمرها إلى ١١٣

سنة، وأن أكبر معمر لديهم هو (توموجي تاناي) ويبلغ ١١٠ أعوام.

أما مؤسسة موسوعة غينيس البريطانية، فإن أعلى رقم للأعمار مسجل لديها يخص الأكوادورية (ماريا أستر دي كابوفيلا) التي توفيت عام ٢٠٠٦م. ويعتقد المسؤولون في تلك المؤسسة - ولا يجزمون - أنه ربما يبلغ ١١٦ عاماً. كما يعتقدون أيضاً أن البور توريكي (ميركادوا دايل تورور) يعد أكبر معمر في العالم على قيد الحياة، وأنه صاحب أعلى عمر مسجل في تلك الموسوعة العالمية برقم ١١٤ عاماً!!

بقي الإشارة إلى أن بعض الدول تزعم أن لديها من بلغ ١٢٤ عاماً مثل كوبا، و١٢٧ عاماً مثل البرازيل، لكن الموسوعة الرصينة لم تقبل بإدخال تلك الطلبات في سجلها؛ لأنها تعرف أن درجة التوثيق والمصداقية في دول العالم الثالث لا تختلف عنها عند بني يعرب إلا قليلاً!

أما نحن الذين لم نصل إلى ما وصلته اليابان وأوروبا من التقدم الطبي والوعي الصحي، فنزعم أن لدينا من بلغ ١٥٠ عاماً، وأنه يمارس رعي غنمه وحرث أرضه، ويطرد القرود عن مزرعته، ويبحث عن بنت الحلال!!



٣- كيد الضرائر وأصحاب القلم*

الكيد وسيلة للانتقام وإلحاق الضرر بالخصوم والمنافسين، وهو نتيجة للغيرة والحسد، ومن المعروف بالتجربة أن أشد الكيد كيد الضرائر - جمع ضرة - لأن الحرب بينهما من أشد أنواع الحروب الباردة. وما يدخل في حسد الضرائر تحاسد أصحاب الصنعة الواحدة، لهذا فقد قال العرب: "صاحب صنعتك يعاديك"؛ وكيد الضرائر لا يكاد يخلو منه مجتمع أو فئة من فئات أصحاب المهنة الواحدة، أو الهواية الواحدة؛ لأن التنافس لا يكون شريفاً دائماً، ولأن أصحاب النفوس الضعيفة والغيورة لا يقبلون بتفوق الآخرين، ولا يرضيهم نجاح منافسيهم، بل لا يريحهم نجاح الآخرين حتى لو كانوا من غير منافسيهم، والسبب أنهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

وإذا اقتصر الحسد على التقليل من شأن أصحاب الإنجازات والطعن في نجاحاتهم بالكلام، ولم يتطور إلى محاولة النيل منهم وإلحاق الضرر بهم، فالأمر عادي ومقبول.. لكن الأسوأ أن يتجاوز

* الجمعة ١٣ رجب ١٤٢٨هـ (٢٧/٧/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٧٢٠).

الحسد الحدود العادية، وينتقل إلى مرحلة الكيد ونصب الدسائس والوشاية والتحريض.. وأسوأ من ذلك أن يكون الحاسد صاحب قلم، فيستغل قلمه وخبرته واختصاصه في تشويه الحقائق، ويجرد علمه في تحريف عبارات خصمه وتأويلها وحملها على ما لا تحتمل، فضلاً عن البحث عن الهفوات والغلطات وتضخيمها واختلاق المثالب والنقائص من أجل الطعن في نزاهة الآخر والتشكيك في إنجازاته ونواياه..

والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ، وما صاحب الوزير النابه قراقوش الذي ألف كتاباً ملأه بالنقائص المختلقة والأكاذيب الملفقة لتشويه سمعة الوزير إلا واحداً من أصحاب القلم الناقمين الذين مارسوا كيد الضرائر، وعند الله تجتمع الخصوم!



٤- خريف بوش والدولة الفلسطينية*

من المصادفات أن تأتي مبادرة الرئيس الأمريكي بوش الخريفية المتعلقة بإقامة دولة فلسطينية، وهو يعيش خريف رئاسته في البيت الأبيض .. وعهد بوش ليس فيه فصل ربيع بالنسبة للعرب، ولا حتى للأمريكان والعالم،وإذا كان هناك أحد استمتع بأيام ربيعية بوشية فهي إسرائيل فقط!

ومع أنّ بوش لم يحقق لإسرائيل أي مكاسب إستراتيجية .. إلاّ أنّه بذل كل ما يستطيع وكل ما تطلبه حكومة إسرائيل، من تأييد سياسي ودعم مالي وعسكري، على حساب أصدقاء أمريكا من العرب وغير العرب..

ومع ذلك فقد رحب العرب بهذه المبادرة كعادتهم في التسامح وحسن الظن بالصديق الذي نصف لسانه معهم، وكل قلبه مع إسرائيل، لكن الذي لا يمكن نسيانه هو أنّ تصرفات سيادة

---

* الجمعة ١٨ شعبان ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧/٨/٣١م)، العدد (١٢٧٥٥).

الرئيس بوش وصقوره والحواجز النفسية السيئة التي وضعها بينه وبين الشعوب العربية، لا يمكن القفز عليها وتجاوزها لمجرّد إطلاق مبادرة أمريكية يعلنها بوش، وتشرف عليها كونداليزا رايس وهي خير من يأتمنه الرئيس على مصالح إسرائيل..!!

ولسوء حظ بوش أنّ هذه المبادرة تأتي بعد مبادرات كثيرة مثل: مبادرة خارطة الطريق، واللجنة الرباعية، ومبادرة جلب الديمقراطية والحرية للعراق، ومبادرة الشرق الأوسط الكبير.

عجباً للعرب الذين عرفوا نتائج مبادرات بوش وذاقوا طعمها، يحسنون الظن اليوم بالمبادرة الخريفية، ويتناسون أنّ هذه المبادرة تم طبخها في البيت الأبيض مع رئيس الوزراء الإسرائيلي في زيارته الأخيرة، لتناسب المذاق الإسرائيلي، بعد أن شعر قادة إسرائيل أنهم بحاجة ماسة إلى إنقاذ سمعة إسرائيل التي تضررت كثيراً في السنوات الأخيرة بسبب غطرستها الاستعمارية والعنصرية في الأراضي الفلسطينية، وتعالي صوت المنظمات الإنسانية داخل أمريكا وخارجها، بشأن انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان في تعاملها مع

الفلسطينيين، ولهذا زيّن الإسرائيليون للرئيس بوش بأنّ هذه المبادرة ستحقق أهدافاً منها:

١- تخفيف الضغط العربي والدولي على إسرائيل بسبب تأييد المبادرة العربية، وإشغال العرب لبعض الوقت بمبادرة جديدة بعد أن استهلكوا المبادرات السابقة وانشغلوا بها زمناً لا بأس به، وأنها تسمح لإسرائيل أن تبني الجدار الفاصل وأن تبني المزيد من المستوطنات، وأن تقتل العشرات، وأن تسجن المئات من القياديين والمناضلين الفلسطينيين!

٢- تحسين صورة الرئيس الأمريكي التي وصلت إلى وضع لا يحسد عليه سيادته بعد توريطه لأمريكا والعالم في حروب غير مبررة وغير ناجحة!

٣- استغلال إسرائيل للأوضاع الفلسطينية المتأزمة، واستمالة رجال فتح المؤيدين لمهادنة إسرائيل والتعاون معها، وإعطاؤهم دولة شكلية بلا طعم ولا رائحة، ما عدا أن تكون قادرة على تنفيذ ما لم تقدر إسرائيل على تنفيذه من قمع رجال المقاومة،

والتجسس عليهم، وحماية حدود إسرائيل ومعابرها برصاص فلسطيني!!

ولهذا فإنّ الذي يراه المتشائمون أمثالي أنّ هذه المبادرة هي آخر خدمة يقدمها بوش وصقور حكومته لإسرائيل قبل الرحيل..!!



٥- الحرب على يقولون (١-٢)*

يقولون هي المصدر الأول للإشاعة، وهي وكالة أنباء محلية تعد من أكفأ وكالات الأنباء وأكثرها نجاحاً، ويتضح ذلك من خلال الدلائل التالية:

- أنها تتفوق في عدد جماهيرها على كثير من وكالات الأنباء الشهيرة.
- أنها لا تحتاج إلى تصاريح،ولا تخضع إلى رقابة.
- أنها أقل وكالات الأنباء ميزانية، فهي لا تحتاج إلى مقر ولا جهاز إداري، ولا أجهزة اتصال، ولا غير ذلك مما تحتاجه وكالات الأنباء المنافسة.

قد لا نتصور حجم الدور الذي تمارسه هذه الوكالة أو القناة، ولا نقدّر مدى تأثيرها وخطورتها، لكن من يدرس واقع الإشاعة في مجتمعنا سيعرف أن كثيراً من الإشاعات الخطيرة التي تتراوح بين

* الاثنين ٢١ شعبان ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧/٩/٣م)، العدد (١٢٧٥٨).

القدح بشخصية اجتماعية وبين مرويات مهمة في تاريخنا لا مصدر لها في مجالسنا إلا وكالة يقولون!!

وتتميز أخبار وكالة يقولون بأن الفاعل غالباً واو الجماعة، أو أن الفعل مبني للمجهول (يقال)، والمراد أن اسم المصدر لا وجود له، كما يلحظ أن مقومات الخبر تكون ناقصة من النواحي الدلالية والثبوتية، لكنها غنية بالتفاصيل الخيالية على طريقة الأفلام الهندية.. وكم من بريء ظلم بخبر ملفق، وكم من شريف طعن في عرضه، أو في نسبه، والبركة في وكالة يقولون التي أضفى عليها جمهورها الشرعية والقبول منذ قال شاعرهم:

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا

فما اعتذارك عن قول وقد قيلا

وأذكر مثالاً قريباً من أمثلة الظلم والبهتان التي أفرزتها يقولون وهو ما حدث قبل سنوات قليلة عندما نشرت وكالة يقولون خبراً مفاده: أن رجلاً كان يطارد ضباً فدخل الضب في مزرعة أحد كبار القوم، فما كان من صاحب المزرعة إلا أن سحب بندقيته وأطلق

النار على الرجل المسكين!!

والحقيقة أن المسكين هو صاحب المزرعة البريء من هذه الحكاية الملفقة براءة الذئب من دم يوسف.. وأذكر أن أحد المتشدقين أورد هذا الخبر في أحد المجالس، فأخبرت القوم أن هذه القصة غير صحيحة، وتحديت الراوي أن يورد الاسم الثلاثي للضحية بطل القصة أو أحد أقاربه، فما كان منه إلا أن قال إنه من قبيلة كذا.. قلت من السهل أن تنسبه إلى بلدة أو إلى قبيلة يبلغ تعدادها مئات الآلاف، لكن لازلت أتحدى وكالة يقولون أن تقدم بطاقة إثبات الضحية، وأقول لكل من يقرأ هذا المقال: ﴿وَلاَ تَقفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾.. أما المظلوم الحقيقي في هذه القصة فأقول له: هنيئاً لك بحسنات كل من أساء لك بهذا الخبر أو ساعد في نشره!



٦- الحرب على يقولون (٢-٢)*

من مضحكات وكالة (يقولون) ما سمعته من ابني نقلاً عن أستاذه الذي قال لطلاب الفصل: يقولون إن أم الجماجم سميت بهذا الاسم لكثرة ما قتل فيها من الإخوان يوم السبلة!! لقد صدمت لهذا الكلام الذي يصدر عن مدرس قدمنا له فلذات أكبادنا، وحسبنا أنه مؤهل لتعليمهم الحقائق وليس الخرافات.. وأعود إلى موضوع أم الجماجم لعلي أنقض خبر وكالة يقولون الذي انتشر في أوساط كثيرة من العوام بما فيهم من يحمل رسالة التعليم العظيمة، والرد على هذه المعلومة الفارغة ونقضها بالأدلة العقلية والنقلية سهل جداً، لكن الحرب على يقولون ليست كذلك، وهزيمتها ليست بالأمر اليسير، فأقول وبالله التوفيق: الأمر الأول: إن أم الجماجم سميت بهذا الاسم قبل السبلة بقرون عديدة، فقد ذكرها أصحاب المصادر المتقدمون، ومنهم الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ في كتابه تهذيب اللغة، فقال: (الجماجم موضع بين الدهناء ومتالع في ديار بني تميم). (انظر:

---

* الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٢٨هـ (٧/٩/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٧٦٢).

المعجم الجغرافي للبلاد السعودية: المنطقة الشرقية، حمد الجاسر، القسم الأول ص٤١٢).

الأمر الثاني: لا علاقة لأم الجماجم بمعركة السبلة القريبة من الزلفي لأن المسافة بينهما بعيدة، ولم يعرف حدوث معركة في العصور المتأخرة هناك.

الأمر الثالث: إن ذلك المدرس الجاهل وغيره من أصحاب يقولون لا يعرفون عدد قتلى معركة السبلة ولو اجتمعوا لتسميتهم وجمعوا معلومات حول هذا الموضوع فلن يسموا أكثر من ٣٠ أو ٤٠ رجلاً، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، ومع أن أكثر المصادر التاريخية مبالغة تقدر عدد قتلى السبلة بما يقارب ٢٠٠ أو ٢٥٠ على أكبر تقدير، فإن هذا عدد قليل جدا مقارنة مع عدد الثوار الخارجين على ولي الأمر المتعطشين للفتك به وبأركان دولة التوحيد الناهضة، حيث تقدر المصادر عدد ثوار الإخوان بنحو ٤٠٠٠ مقاتل، وكان بإمكان الطرف المنتصر أن يبيد الثوار الخارجين على الوحدة وعلى الشرعية، لكن العفو عند المقدرة سجية الكرام؛ لذلك فقد أمر المؤسس أتباعه بالكف

عن قتل الإخوان الذين لم تستغرق هزيمتهم أكثر من نصف ساعة فقط، فأصدر أوامره بوقف القتال، وعدم مطاردة فلول المنهزمين حقناً لدماء المسلمين المغرر بهم، باستثناء رؤوس الفتنة الذين نقضوا العهد أكثر من مرة، وشقوا عصا الطاعة، وأرهبوا الناس واعتدوا على الأنفس والأموال.. فيا ليت هذا المدرس وأمثاله اختاروا الإنصاف بدلاً من الإجحاف، وليتهم تحدثوا عن أخلاقيات المؤسس ومكارمه التي أهلته لتحقيق أعظم الإنجازات العربية في العصر الحديث.. ألا قاتل الله الجهل!!



٧- كلام جرايد!!*

كثيراً ما نسمع عبارة: (كلام جرايد) وهي عبارة يطلقها المكذبون للأخبار، وما أكثر المكذبين لكل شيء في حياتنا، خصوصاً إذا كان المتحدث من أعداء القراءة والاطلاع الذين ينظرون إلى قراءة الصحف والكتب على أنها مضيعة لوقتهم الثمين الذي يقضونه في نوم النهار وسهرات المعسل والبلوت، واستعراض القنوات الفضائية، أو طلعات المندي وصيد الضبّان.. المهم أن الواحد من أولئك إذا نقلت له خبراً لا يروق له مد شفتيه وقال: (كلام جرايد)..

ومع أن الكثير من كلام الجرايد يتسم بالمصداقية والمسؤولية، كما هو الحال في صفحات الأخبار وصفحات الآراء والتحليلات السياسية والاقتصادية والمواضيع الطبية؛ إلا أن الجرايد لا تخلو من أخبار ومعلومات لا تمت للواقع بصلة لأنها إما كُتبت لمجرد الإثارة، أو لأن الذي نقلها صحفي لا يملك المقدرة على التحقق من صحتها،

* الأربعاء ١٤ رمضان ١٤٢٨هـ (٢٦/٩/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٧٨١).

فانطلت عليه وانخدع بها، ولم يتنبه إلى أن بعض الضيوف حصان جموح إذا لم يجد من يكبح جماحه..

وحتى لا اتهم بالمبالغة فسأضرب مثالين فقط لمقابلتين نُشرتا في صحيفتين سعوديتين؛ الأولى تمت مع أحد المسنين من نجران على أساس أنه يبلغ من العمر ١٨٥ عاماً!! وعندما كان الضيف يستعرض ذكرياته ذكر منها (أن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - كلفه بحمل رسالة رسمية إلى محمد علي باشا).. علماً أن محمد علي توفي وبليت عظامه قبل أن يولد الملك عبدالعزيز بحوالي ٣٠ سنة.. ومن باب اللقافة فقد حصلت على هاتف الضيف واتصلت به، وبعد جرجرته في الكلام اتضح لي أن عمره لم يبلغ ٩٥ سنة عند إجراء تلك المقابلة.

أما المقابلة الثانية فقد كان فيها الضيف يستعيد شريط ذكرياته، فذكر من ضمنها أنه ألقى قصيدة عصماء أمام جلالة الملك فيصل - رحمه الله - عندما كان ولياً لعهد الحجاز، فما كان منه إلا أن سحب الدرج الذي أمامه ودفع للشاعر مبلغ ثلاثة آلاف من فئة الخمس مئة ريال!!

والأهم من ذلك أن أياً من الصحفيين لم يستوقف ضيفه، بل يبدو أنه هز رأسه إعجاباً!! وكأني بالشاعر يعنيه عندما قال:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة
وإن كنت تدري فالمصيبة أعظمُ

لذا أهيب بالمنتسبين إلى الصحافة أن يكونوا أكثر ذكاء من ضيوفهم حتى لا يحرجوا صحفهم مع المتربصين بمصداقية الصحافة، وحتى لا يجدوا فرصة لوصف مقالاتنا بأنها كلام جرايد!!



٨- وثائقنا بين جهل الموظف وتخوّف المسؤول! (١-٢)*

من المضحكات المبكيات في بلادنا أن يجوب باحثونا دول العالم بحثاً عن الوثائق والمخطوطات المتعلقة بتاريخ بلادنا، وأن يجدوا في تلك الدول التقدير والترحاب والحصول على ما يريدون من معلومات، فيما يعد الوصول إلى وثائقنا المحلية التي تزخر بها بلادنا ضرباً من المستحيل، فضلاً عن الاطلاع عليها أو تصويرها، الأمر الذي يعد من المحظورات الإدارية، رغم ما تختزنه تلك الوثائق من المعلومات التاريخية والاجتماعية القيمة عن جوانب مهمة من الحياة الماضية لبلادنا وحكامها وعلمائها وأعلام أسرها وقبائلها. ولعل من أقرب الأمثلة على ذلك وثائق المحاكم الشرعية التي تمثل أكبر مخزون للوثائق المحلية في بلادنا؛ خصوصاً في مدننا العريقة مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض والطائف وينبع وأبها والأحساء وغيرها، حيث توجد لدى بعض محاكم تلك المدن السعودية مئات الآلاف من الوثائق يعود

---

* السبت ٧ ذو القعدة ١٤٢٨هـ (١٧/١١/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٨٣٣).

بعضها لمئات السنين خصوصاً في مكة والمدينة.

ومع كل ما بلغته بلادنا من تقدم وما قامت به من تطوير في الأنظمة الإدارية ومنها نظام القضاء، إلا أن ما يتعلق بنظام حفظ الوثائق الذي يحدد مدة سريتها لايزال من المسكوت عنه، لتبقى هذه الظاهرة من ثوابت التخلف والخصوصية الوهمية التي تميز بلادنا عن غيرها من بلدان العالم المتقدم التي لا تزيد فيها سرية الوثائق عن ٥٠ سنة على أكثر تقدير!

لا أجد سبباً لهذه الممارسة غير المبررة إلا غياب الوعي بأهمية البحث التاريخي، وعدم إدراك القيمة العلمية لتلك الوثائق، فضلاً عن تخوف المسؤولين في المحاكم الشرعية، وجهل الموظفين المباشرين في أراشيف السجلات الشرعية.. فالمسؤول يرى أن هذه الوثائق بعبع أو بركان سيثير الزوابع والمشاكل إذا وصلت إليه يد الباحثين، حتى لو كانت تعود لما قبل قرنين أو ثلاثة أو اربعة.. فهم يخوّفون من يطلب منهم الاطلاع عليها بأن المحكوم عليه قبل اربعة قرون سواء كان فرداً أو أسرة أو قبيلة سيطالب برد

الاعتبار، وسيحتج على التشهير الذي سيحدثه له نشر الوثيقة التي ربما تذكر أنه حكم عليه بالسجن أو بالغرامة أو بالطلاق أو تسديد مديونيته، أو نحو ذلك!!

وهذا التخوّف في نظري وهم لا حقيقة له، وتبرير غير واقعي، وتخوف ينبع من عدم الثقة بالنفس.. أقول هذا من واقع معايشة بحثية، فقد كان لي تجربة واقعية نشرت خلالها مجموعة من الوثائق القديمة، فلم أجد من أحفاد من وردت أسماؤهم في تلك الوثائق إلا القبول والابتهاج بتلك المعلومات، لأن فيها إشارات قيمة إلى أجدادهم، أما ما كانوا عليه من خلافات ومنازعات فقد كان ذلك متلائماً مع طبيعتهم كبشر، ومع واقع حياتهم في ذلك الوقت.

أما سبب إصرار الموظفين المباشرين في قسم السجلات على عدم وصول الباحثين إليها فلا يمكن تفسيره إلا بالجهل الواضح، وعدم قناعتهم بالقيمة العلمية للوثائق، فضلاً عن بعدهم عن إدراك أهمية البحوث التاريخية.

ومع ذلك فإن هذا التخوّف غير المبرر من المسؤولين، وذلك الجهل المركب لدى صغار الموظفين قد تسببا في حجب وثائقنا، وحرمان الباحثين منها، وأديا إلى زيادة معاناتهم وتحسرهم على هذا الواقع المرير!!.. (وللحديث صلة).



٩- وثائقنا بين جهل الموظف ..وتخوف المسؤول! (٢-٢)*

استكمالاً لما ذكرته في المقال السابق حول وثائقنا الوطنية وحرمان الباحثين من الاطلاع عليها والاستفادة منها في البحوث العلمية والتاريخية لأسباب تعود إلى عدم إدراك أهمية القيمة التاريخية لتلك الوثائق، وعدم القناعة بالبحوث التاريخية عموماً، والاستناد في تكريس حجبها عن الباحثين إلى تعاميم حكومية تحتاج إلى مراجعة بعضها، وإلى التعامل مع بعضها الآخر العسكري أو السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، علماً أن هذه الحساسية لها زمن محدد وتنتهي بعد ٣٠ سنة أو ٥٠ سنة على أكثر تقدير، كما هو المعمول به في كل دول العالم.

(١) أن هذا الإجراء الجزائي لا علاقة له بوثائق شرعية أهلية (مبايعات ووصايا وأوقاف ومخالصات....إلخ) لأنها لا تمس أمن الدولة عادة.

---

* الأحد ٨ ذو القعدة ١٤٢٨هـ (١٨/١١/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٨٣٤).

(٢) أن هذا الإجراء أيضاً لا يتعلق بوثائق مضى عليها قرن أو أكثر من الزمان، ولم يعد لها تأثير على الدولة الحالية، ولا على الدولة السابقة.

(٣) أن هذه العقوبات فيها شيء من المبالغة، عندما نقارنها بحالات جنائية نراها الآن ونرى الأحكام الجزائية المترتبة عليها، ومنها مثلاً حالات خطف واغتصاب حدثت في بعض مدننا مؤخراً وكان الحكم فيها السجن سنة كاملة أو الجلد ٣٠٠ جلدة لا غير (انظر جريدة الجزيرة، العدد ١٣٤٦٤ في ٢٢ شوال).

ولهذا: فإنه يجب أن يدرك المشرِّعون لأنظمة حفظ الوثائق، والمتحفظون عليها هذه الاعتبارات وهذا التفاوت بين الوثائق من حيث درجة حساسيتها.

ختاماً: أقول هذا بعد تجربة قريبة للبحث في سجلات أحد محاكمنا العريقة، حيث استخدمت كل الوسائل من التبريرات والشفاعات من أعلى المسؤولين إلى أصغرهم، وسقتها إلى فضيلة رئيس تلك المحكمة، الذي وافق في البداية، لكن موظف السجلات رفع

لرئيسه عرضاً أقوى من طلبي المتذلل، ليوضح له المبررات والأسباب والأوامر والتعليمات التي تمنع الاطلاع على سجلات المحكمة، مع تركيزه على التعميم رقم.. وتاريخ.. الذي يؤكد على سرية هذه السجلات.. فما كان من فضيلة الرئيس إلا أن رفض كل الالتماسات التي قدمتها بما فيها التماس مسؤول قيادي رفيع المستوى.. ولم أجد إلا الخروج من عنده وأنا أضرب أخماساً بأسداس!



١٠- كتاب وادي الفرع في طبعة جديدة*

أهداني الباحث الأستاذ محمد بن صالح البليهشي الطبعة الثانية من كتابه: (وادي الفرع)، فألفيته بحثاً قيماً وعملاً متميزاً، تمثل في تلك الطبعة الجديدة التي بذل المؤلف جهداً واضحاً في تنقيحها ومراجعتها إضافة إلى ما بذله في الطبعة الأولى من جهد متميز لا يختلف عن المنهج البحثي الرصين الذي درج عليه الأستاذ البليهشي في مؤلفاته السابقة.

ولا غرو في ذلك فالمؤلف له باع طويل في الكتابة والبحث في جغرافية وتاريخ منطقة المدينة المنورة، فقد سبق أن صدر له عدة مؤلفات من أهمها: المدينة اليوم صدر سنة ١٤٠٢هـ، وكتاب المدينة المنورة صدر سنة ١٤٠٨هـ، وكتاب بدر صدر سنة ١٤١٣هـ.

كما أنه صحفي مخضرم مارس الصحافة منذ سنة ١٣٨٨هـ، فضلاً عن شغله لوظيفة مدير جريدة الندوة في المدينة منذ أكثر من

---

* الأحد ٢٩ ذو القعدة ١٤٢٨هـ (٩/١٢/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٨٥٥).

٢٠ عاماً. وفوق ذلك فهو أحد رجال التعليم في المدينة المنورة، وأحد الأعضاء النشطين في نادي المدينة الأدبي منذ سنة ١٤٠٠هـ ولا يزال[١].

وأعود للكتاب المذكور الذي يعد مرجعاً تاريخياً لمنطقة وادي الفرع التي هي مسقط رأس المؤلف.. وفي مقدمته يعَرِّف المؤلف بمنطقة وادي الفرع، فيقول: إنها منطقة وادي الفرع ذات التاريخ الموغل في القدم والحضارات المتعاقبة بحكم موقعها بين المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث شهدت جبالها ووهادها قوافل الحجاج وهي تعبر (الطريق الفرعي) الذي يسير عبر هذا الوادي غادية ورائحة من مكة إلى المدينة المنورة، ومن المدينة إلى مكة المكرمة.. والطريق الفرعي يعد الطريق الثاني بعد الطريق السلطاني الذي كان يسير عبر أم البرك إلى المسيجيد فالمدينة.. وقد امتاز الطريق الفرعي في ذلك الزمان بوفرة مياهه، وكثرة زروعه، وجريان عيونه، وأمان مسالكه، ولذلك لعب وادي الفرع دوراً في مجال النقل والتموين لأسواق المدينة ورابغ وجدة ومكة المكرمة.

---

(١) كان هذا عند كتابة المقال عام ١٤٢٨هـ.

كان هذا في أزمان سابقة وفي أزمان سحيقة، تذكر كتب التاريخ أن الفرع أول قرية جلبت التمر إلى مكة المكرمة عندما استقر إسماعيل عليه السلام وأمه فيها، وهذا دليل على أن (الفرع) كان ذا عطاء وفير في زروعه وخيراته منذ ذلك الزمان وقبله.. وفي بداية الدعوة المحمدية في السنة الثالثة من الهجرة شهد وادي الفرع الجيش المحمدي بقيادة نبي الأمة صلى الله عليه وسلم يعبر في غزوة بَحران التي سميت كذلك بغزوة الفرع.

وفي عهود الخلفاء الراشدين والدولة الأموية والعباسية حظيت مناطق وادي الفرع باهتمام بعض الصحابة والتابعين يتملكون ويزرعون، ويجرون العيون ويبنون الفلجان والقنوات، وفي عهود لاحقة كان لوادي الفرع دور بارز في أحداث المنطقة وظروف الحياة فيها بحكم موقعه وطول مساحته وتعدد قراه وقبائله.

وقد قسم المؤلف كتابه إلى الأبواب التالية:

- الباب الأول: منطقة وادي الفرع، موقعها، ومساحتها. وفي هذا الباب تحدث المؤلف عن موقع وادي الفرع وحدوده، وتاريخه في صدر

الإسلام، وأخبار الصحابة والتابعين فيه، ومحطات الطريق الفرعي قديماً، ووادي الفرع في بعض رحلات الحج.

- الباب الثاني: وادي الفرع وقبيلة بني عمرو الحربية: وتحدث فيه عن سكان وادي الفرع، وعن بعض الوقائع التاريخية التي جرت في المنطقة.
- الباب الثالث: وتحدث فيه بإسهاب عن أشهر التجمعات الحضرية في وادي الفرع.
- الباب الرابع: وتحدث فيه المؤلف عن التنظيمات المحلية لإدارة شؤون الحياة اليومية في منطقة وادي الفرع قبل العهد السعودي الزاهر.

ويعد هذا الباب من أهم أبواب الكتاب لأنه يتناول بشكل موثق أدق تفاصيل الحياة في المنطقة خلال القرون الماضية.

- الباب الخامس: معالم لها ارتباط بمنطقة وادي الفرع: وهذا الباب فيه تعريف جيد لأهم المعالم الجغرافية المحيطة بالوادي مع تحديد مواقعها بدقة واستعراض ما قيل عنها في مؤلفات

المتقدمين.

- الباب السادس: التنظيمات المحلية لإدارة مياه العيون في منطقة وادي الفرع.
- الباب السابع: النخلة في وادي الفرع.
- الباب الثامن: الحياة الإنسانية والاجتماعية في وادي الفرع، وصف فيها البيوت والنباتات الطبيعية، والكائنات الحية، ومظاهر الحياة الاجتماعية.
- الباب التاسع: وادي الفرع في عيون الشعراء.
- الباب العاشر: مصطلحات وردت في الوثائق.

ويتميز الكتاب بالاعتماد على وثائق محلية لا تؤكد صحة المعلومات فقط، بل تصور تفاصيل الحياة الاجتماعية والسياسية بدقة ووضوح ومصداقية.

كما يتميز الكتاب فيما يقدمه من معلومات غزيرة ومهمة ومفصلة عن المنطقة وتاريخها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، مما يجعل الكتاب ذا قيمة علمية وتوثيقية عالية لا يستغني عنها باحث في

تاريخ الحجاز خصوصاً والجزيرة العربية عموماً، وختاماً؛ فإنني اتساءل أما آن لهذا المربي والباحث والأديب الذي عمل بصمت وبعيداً عن أضواء الإعلام لأكثر من ٣٠ سنة، أما آن له أن يكرّم؟ لماذا لا يتم تكريمه وهو الذي كثيراً ما وقف خلف تكريم الآخرين، واحتفى بالمبدعين، وشجع المتميزين؟ أجزم أن هذا الباحث والكاتب لم ينل حقه من التكريم ورد الجميل.. ولكن على من يقع التقصير؟ أهو على نادي المدينة الأدبي؟ أم على وزارة التربية والتعليم؟ أم علينا معشر أصدقائه ومحبيه؟ أم على الجميع؟.



١١- (ذاكرة من الزمن) كتاب يستحق القراءة!*

من أجمل إهداءات الكتب التي وصلتني كتاب بعنوان: (ذاكرة من الزمن) في طبعته الأولى سنة ١٤٢٨هـ، لمؤلفه: الوجيه عبدالله بن عبدالمحسن بن محمد الماضي. والشيخ عبدالله الماضي علم لا يحتاج إلى تعريف، فقد عرف كوجه اجتماعي، وعرف كمسؤول خدم بلاده ردحاً من الزمن، وها هو اليوم يطل مؤلفاً..

وإذا كانت إهداءات الكتب كثيرة، وعبارات الإهداء متعددة، فقد استوقفتني عبارة الإهداء التي صاغها المؤلف ونقشها بخطه الجميل، حيث قال فيها: "الإنسان في حياته بين غدو ورواح، ومساء وصباح، سارح في غفلة من أمره، مشحوناً بآمال وتطلعات.. فهل من مستيقظ؟.. وتلك تجربة سبعة عقود أفرزتها (ذاكرة من الزمن) التي شحت بالكثير.. أقدمها إهداء لأخي .... وأرجو أن ينورني بما يجده من ملحوظات.. رعاك الله".

إنها كلمات صادقة تعبر عن مسيرة عُمُر، وتهدي تجربة حياة،

---

* الخميس ٤ ذو الحجة ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧/١٢/١٣م)، العدد (١٢٨٥٩).

وتختصر مضمون كتاب.. يقع هذا الكتاب في (٤٩٤) صفحة أنيقة الإخراج، جميلة الشكل، قيمة المضمون.. تتضمن تقديماً شجياً بقلم الوجيه عبدالله بن سعد بن محمد الماضي، ثم مقدمة معبرة للمؤلف اقتطف منها قوله: "... والكتابة عن الذات كشف للأسرار التي طالما تمنيت إيقاف عقارب الساعة أمام كل سر منها، لقراءته كما ينبغي.. ولقد فكرت طويلاً منذ زمن لكتابة شيء من هذا، لا للتاريخ، ولا للقراء، وإنما كذكريات وخواطر أحببت أن أتركها لأبنائي فقط.. درساً يعينهم على قراءة الإشارات في المنحدرات الصعبة ليتجاوزوا المعوقات بوقوفهم على شيء من جوانب حياة والدهم يتيم الأب منذ السنة الثانية من عمره، البعيد عن إخوته وأعمامه وأهله وبلدته..".

ثم يقول: "وبعد فقد جاءت هذه المذكرات مبتورة، وغير مشبعة لنهم القاري؛ أعني الذين أردت أن أخصهم بها من أقارب ومحبين، وقد بلغت أربعة وأربعين فصلاً.. احتفظت منها بأربعة في درج مكتبي، وتسعة عشر موضوعاً ما بين محجوب ومختزل بقيت في المخطوطة الأصلية حتى يحين الوقت المناسب لتأخذ مكانها في هذه

المذكرات، وأسلي النفس بقول الشاعر:

تبْكي الأناملُ تحت الأرض في جَدَثٍ

وخطها في كتابٍ يؤنِسُ البصرا".

أقول: ومع أن الكتاب في الأساس سيرة ذاتية إلاّ أنه سفر تاريخي يجمع بين النسب المفصل للمؤلف وأسرته، وبين التاريخ الموثق لمرحلة تاريخية مهمة من التاريخ المحلي يرصد فيها المؤلف بالوثائق تاريخ مسقط رأسه (هجرة الأرطاوية)، وتاريخ بلد آبائه وأجداده (حَرْمَة) بأسلوب أدبي تاريخي شيق..

إن ما كتبه المؤلف عن هجرة الأرطاوية ونشأتها وسكانها يعد نبذة تاريخية مهمة لم يسبقه إليها أحد، فقد حاول استقصاء البحث عن تحديد نشأة الأرطاوية، وأول من أنشأها وسكنها، وتاريخ أمرائها من سنة ١٣٢٨- إلى سنة ١٤٠٦هـ، كما تحدث عن التعليم فيها، وأوائل المعلمين والطلاب فيها، وأشهر قضاتها، وشيئاً من تاريخها وحكاياتها..

بعد ذلك يعرض المؤلف الكثير من المواقف والطرائف والمواجع

التي مرت به، بأسلوب أدبي شيق مرصع بالكثير من الشواهد الشعرية والأمثال العربية، لا يفوته أن يستخلص العبر والدروس ويذكر بها الشباب كلما مر بموقف من المواقف المؤثرة..

لا أستطيع الاستطراد في وصف هذا الإصدار المنحوت من ذاكرة مؤلفه، ولكني أكتفي بهذا القدر، متمنياً للمؤلف المزيد من الخير والتوفيق، وشاكراً له إهداءه، ومهيباً بالقراء الكرام بالاطلاع على هذه المذكرات الشجية..



١٢- حتى الإمام البخاري! *

ظاهرة الاعتراض على المجددين والمصلحين ظاهرة قديمة، وسُنَّة بشرية متأصلة منذ أن خلق الله الإنسان وأوجد معه الخير والشر، وجعل من طبعه الإصلاح والإفساد، والحب والكره، والغبطة والحسد.. فكان الصراع بين الحق والباطل معركة لا تنتهي بين المصلحين والمفسدين، وبين من يبنون ومن يهدمون.

ولأن أهل الحق قلة وأهل الباطل كثرة، كان أهل الحق هم المعتدَى عليهم غالباً، وأهل الباطل هم المعتدون وهم الظالمون الذين أعلنوا الحرب على أولئك، واشتدوا في قتلهم وملاحقتهم وإخراجهم من ديارهم بغير الحق.

وكان أول ضحايا تلك الحرب هم الأنبياء والرسل ومن بعدهم المصلحون والمجددون، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ

* الأحد ٢٨ ذو الحجة ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/١/٦م)، العدد (١٢٨٨٣).

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورة آل عمران، الآية (٢١).

ولن أتحدث هنا عما تعرض له الأنبياء والرسل من الأذى، فذلك معلوم لدى كل مسلم، ولكني سأذكر بعض ما تعرض له مصلحون من أمتنا خدموا الإسلام والمسلمين، وكانت مواقفهم وإنجازاتهم فتحاً أضاء للأجيال التي جاءت مِن بعدهم.

فهذا الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) الذي مكث في السجن سنتين وأربعة أشهر، وهذا الشيخ أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) الذي سجن في مصر، ولما خرج من السجن عاد إلى الشام، فاعتقل وسجن إلى أن مات مسجوناً بقلعة دمشق، وليس الشيخ محمد بن عبدالوهاب عنا ببعيد، فقد هُدِّد بالقتل، وأجبر على الخروج هارباً بنفسه من العيينة إلى الدرعية، ليكون ذلك الخروج مفتاحاً لتحول كبير في تاريخ الجزيرة العربية كلها. كثيرون هم الذين قتِلوا أو أخرجوا من ديارهم، من العلماء والمصلحين، لكن الذي استوقفني منهم هو: الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حافظ حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وصاحب الجامع

الصحيح، المشهور بصحيح البخاري.. ولد في بخارى في أواخر القرن الثاني الهجري، ونشأ يتيماً فقيراً، وهداه الله لفكرة جمع الحديث، فشمر عن ساعد الجد، وتتبع الرواة ولاحقهم في كل مكان ذكروا له فيه، فلم يمنعه الفقر واليتم من الارتحال، والسفر إلى خراسان والعراق والشام ومصر، حتى سمع من نحو ألف شيخ، وسمع نحو ست مئة ألف حديث، وجمع منها نحو سبعين ألفاً، ثم اختار منها أوثقها وهو ما يقارب سبعة آلاف وخمس مئة حديث جمعها في صحيحه، الذي يعد أول كتاب في بابه؛ فضلاً عن كونه أصح كتب الحديث.

ولكن هل كوفئ هذا العالم الجليل على إنجازه العظيم، وهل أقيمت له احتفالات التكريم، وهل دفعت له تكاليف البحث والرحلات والتأليف؟.. الجواب لا، بل إن الإمام البخاري بعد أن عاد إلى بلده بخارَى وعكف على تدوين الحديث، وبعد أن أنجز هذا العمل العظيم ثار عليه مجموعة من المعترضين، وتعصبوا عليه، وعصبوا عليه الحاكم والمحكوم، فأخرِج مطارداً من بخارى إلى قرية خرْتنك في سمرقند، ومات فيها طريداً سنة ٢٥٦هـ، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه

عن الإسلام والمسلمين خيراً.

أسوق هذه الحكاية إلى العلماء والباحثين المعاصرين الذين يتعصب عليهم أهل الباطل، ويثيرون عليهم الدهماء، ليتأسوا بما حصل للإمام البخاري، وليعرفوا أن الحياة صراع بين الحق والباطل، وقد يتغلب الباطل أحيانا كثيرة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً!



١٣- سنوات التاريخ بالمواجع! *

لا شك أن هذه السنة[1] لم تكن سنة عادية بالنسبة لما صاحبها من شدة البرد وكثرة الثلوج، وتضرر المخلوقات والنباتات، والأولى ألاّ يمر ذلك في ذاكرتنا مرور الكرام؛ بل يجب علينا تذكر من لا يستطيعون مقاومة البرد الشديد من الفقراء ومشردي الحروب، وضحايا الحصارات القهرية، ونحن نعيش في مبانٍ مسلحة ونملك من وسائل التدفئة والراحة بفضل الله ما نحتاجه وأكثر.. كما ينبغي أن نتذكر ما عاناه أجدادنا في الماضي عند حدوث مثل هذا البرد الموجع الذي تكرر عليهم سنوات كثيرة عندما كانت ظروفهم المعيشية لا تساعدهم على المقاومة بل تزيد معاناتهم.

فلو رجعنا إلى الوراء قليلاً عندما بدأ الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في توحيد البلاد لرأينا كيف كانت الأحوال

---

* الثلاثاء ٢٨ محرم ١٤٢٩هـ (٥/٢/٢٠٠٨م)، العدد (١٢٩١٣).

[1] المراد سنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

صعبة، والسنوات عجافاً، فسَنَة جوع، وسنة وباء، وسنة برد، وسنة غرق، وسنة عطش، وسنة غلاء؛ بل ربما اجتمعت كل تلك المصائب في سنة واحدة، حتى اصطبغ تاريخ تلك الحقبة بتلك الظواهر القاسية، وأخذت سنواته أسماءها منها، فلو عدنا إلى تلك السنوات التي تلت استرداد الرياض لوجدنا أن منها:

- سنوات القحط والجدب والجوع، ومن أسمائها: الأبيرق سنة ١٣٢٦هـ، ودمغان والجوع سنتي ١٣٢٧هـ و١٣٢٨هـ، وسحَبَة ١٣٤٩هـ، والكَودة ١٣٥٧هـ، والأبيرق ١٣٦٣هـ، وحَطَيبة ١٣٦٨هـ، وبَوْهان ١٣٦٦هـ، والشهْبَة ومُلْحِق ١٣٧٠هـ، وغيرها.
- سنوات الأوبئة الفتاكة كالكوليرا والجدري والحصبة، وغيرها، وأشهرها الضربُ أو الوباء الأصفر السنوات: ١٣٢٠هـ و١٣٢١هـ و١٣٢٢هـ و١٣٢٥هـ و١٣٣٠هـ، والكوليرا: ١٣٣٧هـ، والجدري: ١٣٤٨هـ، و١٣٥٨هـ، و١٣٥٩هـ، و١٣٦٢هـ، والشهاقة: ١٣٦٠هـ، و١٣٦٢هـ..
- سنوات البَرْد والصقيع، ومنها: سنة البَرْد المسمى حُمْرة سنة ١٣٣٤هـ، والبَرَد (بفتح الراء) ١٣٤٤هـ، والصرَد ١٣٥١هـ، والصَّرَّة ١٣٥٢هـ

و١٣٥٥هـ، والفلْج ١٣٧٦هـ، وغيرها.

- سنوات الغرق والهدم، ومنها: غرقة حوطة بني تميم: ١٣٢١هـ، وغرقة عنيزة: ١٣٢٢هـ، وغرقة الوشم: ١٣٢٧هـ، وسَحّاب: ١٣٤٤هـ، وغرقة السلمية: ١٣٥١هـ، وغرقة مكة: ١٣٦٠هـ، وسيل غشام: سنة ١٣٦٣هـ، وسحبة أبا الحصين: ١٣٦٤هـ، وغرقة الشنانة: ١٣٦٦هـ، وصباب: ١٣٧٤هـ، والهدام: سنة ١٣٧٦هـ.
- سنوات الظمأ والعطش، ومنها: الظمأ: ١٣٣٩هـ، والظموة: ١٣٦٤هـ و١٣٧٠هـ، وغيرها.
- سنوات العواصف الترابية العنيفة، ومنها: سنة عجاجان: ١٣٢٠هـ، وأبو عجاج: ١٣٣٠هـ، وأبو نيران: ١٣٥٩هـ، والغبار: ١٣٦٠هـ، وغيرها.
- سنوات أمراض الحيوانات ونفوق البهائهم، ومنها: الجرب: ١٣٤١هـ و١٣٤٨هـ، وقطع الزمل أو مجعّف الوثاير: ١٣٥٤هـ، وموت الحشو: ١٣٥٥هـ، وسنة الشقال: ١٣٥٧هـ، والهيام: ١٣٦٣هـ.
- سنوات الدبا والجراد، ومنها سنة ١٣٤٦هـ، و١٣٥٨هـ، و١٣٦٢هـ،

و١٣٦٤هـ، وغيرها.

- سنوات الغلاء وانعدام الزاد، وما أكثرها في ذلك الزمان، ومنها على سبيل المثال: سنة ١٣٢١هـ و١٣٢٦هـ و١٣٢٧هـ و١٣٢٨هـ و١٣٣٩هـ و١٣٦٠هـ و١٣٦٦هـ و١٣٦٧هـ، وغيرها.
- أما سنوات الحروب والمعارك والحصارات الطاحنة فكانت هي الأكثر وطأة وضراوة، وقد كانت المعارك الطاحنة ممارسة سائدة قبل إعلان توحيد هذه البلاد سنة ١٣٥١هـ، ولا يسمح المجال لتعداد تلك المعارك التي لا تكاد تخلو منها سنة من تلك السنوات.

هذه أمثلة فقط؛ ونماذج مختارة من سنوات كانت مليئة بالحوادث الجسام مع شظف العيش؛ أسوقها لنقارنها مع ما نحن فيه اليوم من رغد العيش والاستقرار، وليعرف من لم يدرك تلك السنوات ولم يقرأ تاريخها حجم الإنجاز الذي قام به موحد الجزيرة حتى استطاع أن يبني دولة حضارية مترامية الأطراف متباعدة الأرجاء، بعد معارك شرسة خاضها مع الفرقة والعصبية

والجهل والفقر والمرض لتنعم الأجيال من بعده وخصوصاً جيلنا وجيل أبنائنا بثمرة هذه الإنجازات، ولنعرف ما يتوجب علينا من الشكر الذي بدونه لا نضمن العودة لتلك السنوات التي ما هي عنا ببعيد!



١٤- إذاً كم كذبوا على العرب؟*

أعلنت دراسة صحفية أمريكية غير منحازة إلى أن الرئيس بوش ومساعديه الرئيسيين قد كذبوا على الشعب الأمريكي ٩٣٥ مرة منذ إعلان الحرب على العراق، وتتمثل تلك الأكاذيب بتقديم معلومات أو الإدلاء بتصاريح تخالف الحقيقة.. وتأتي هذه التصاريح الموجهة للشعب الأمريكي ضمن الحملات الإعلامية المكثفة لإقناع الأمة بخطورة صدام على استقرار منطقة الخليج الحيوية، وتهيئة الأمريكيين لقبول الإجراءات العسكرية التي تتخذها القيادة العسكرية للتعامل مع هذا الخطر المزعوم، والترويج لمشروعية شن الحرب على العراق!!

ومن بين الأكاذيب التي روج لها صقور الإدارة الأمريكية تكرار القول بأن صدام يملك أو يطور أسلحة دمار شامل، وأنه على علاقة قوية مع تنظيم القاعدة الإرهابي..

ومن المعروف أن تلك الأكاذيب قد انكشفت بعد دخول القوات

---

* الأربعاء ٢٩ محرم ١٤٢٩هـ (٦/٢/٢٠٠٨م)، العدد (١٢٩١٤).

الأمريكية عندما نبشت أمريكا كل بيت ومصنع ومستودع في العراق، وفتشت كل مستودعات الجيش العراقي، واستخدمت كل آلاتها وتقنياتها المتطورة ولم تجد شيئاً.

ولأن الكذب من فنون السياسة وآلياتها، فقد يجد المتابع شيئاً من التبرير لبعض تلك الأكاذيب؛ لكن المثير للدهشة والحيرة هو مجاراة الإعلام الأمريكي لتلك الأكاذيب، ومشاركة الإعلاميين والصحافيين في تلك الحملة الكاذبة، وغض الطرف عن أكاذيب الرئيس وأعوانه؛ حيث أشارت الدراسة المشار إليها أن معظم وسائل الإعلام الأمريكية لم تكن أمينة، ولم تمارس دورها في التحقق من صحة المزاعم، ولم تحاول كشف الأكاذيب في حينها..

والأدهى من ذلك بحسب الدراسة أن بعض المسؤولين الإعلاميين سواء في الصحف أو في وكالات الأنباء الأمريكية اعترفوا بأن تغطيتهم لتصريحات الرئيس بوش ونائبه ديك تشيني، ووزير دفاعه رامسفيلد، ووزيرة خارجيته كونداليزا رايس وغيرهم من مؤيدي إسرائيل لم تخضع للفحص والتدقيق!!

وإذا كانت الإدارة الأمريكية قد كذبت على شعبها إلى هذا الحد؛ فكم يا ترى كذبت على الشعوب المسكينة الأخرى، وخصوصاً علينا نحن العرب الذين تتوالى علينا المبادرات والوعود الأمريكية بحل قضية فلسطين، وتزداد علينا وتيرة النصائح والتحذيرات الأمريكية من جارتنا إيران التي تقود أمريكا عليها حملة عالمية ظالمة لأن تنامي قوتها يزعج مدللتها إسرائيل!!

وهل آن الأوان لكي نراجع ثقتنا في الأقاويل المعسولة للمسؤولين الأمريكيين وحلفائهم بشأن قضايانا؟ وهل نصدق تباكيهم على مصالحنا ومستقبلنا؟ وهل نثق بحسن نواياهم ونقبل ما يسَوِّقونه لنا من مبررات لتسويق أسلحتهم التي يبيعونها لنا بحجة حرصهم على زيادة قوتنا بشرط ألا نفكر في استخدامها ضد إسرائيل!



١٥- إلى متى نتفاخر بهذه الأفعال؟!*

إنَّ كل ذي عقل سليم ودين صحيح لا يستسيغ أن نتفاخر نحن أهل هذه البلاد بأفعال تتنافى مع الدين وتتعارض مع روح الإخاء الإنساني والإسلامي، ولا يسره أن يكون الفخر في تمجيد بعض السلوكيات القبلية التي كانت سائدة في أيام الجهل والفوضى.. لكنني مثل الكثيرين غيري نُصدَم كل يوم عندما نسمع شعراءنا يتفاخرون بما كان عليه أجدادهم من حياة تقوم على الغزو والسلب، والتباهي بقتل أكبر عدد من الخصوم، وسحق أجسادهم، وترك جثثهم للذئاب المفترسة والطيور الجارحة، حتى لو كان الخلاف على ناقة حرشاء العراقيب، أو قطعة أرض جرداء رمضاؤها تشوي الجربوع.. من المحزن والمخجل أن يكون هذا هو القانون الذي يعتزون به ويؤكدونه على لسان شاعرهم العامي الذي يقول:

---

* السبت ٢ صفر ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٢/٩م)، العدد (١٢٩١٧).

المـوت لـو غبنـا عنـه مـا يغـيبي

هـذي حلاتـه دون حـرش العراقيـب!

أو عندما يقول الآخر:

ذبحنـا ورا العـشوا ثمـانين لحيـة

نضرب على حد الجمـاجم عنوقها

وما أشبه النماذج الشعرية السابقة بقول الشاعر العربي الجاهلي:

شـفا نفـسي وقـد سَـقِمَتْ زمانـاً

نـساء النمْـرِ تـصرخ كُـلَّ فجْـرِ

أو قول الآخر:

أصـبحوا بـالكُلاَب تعتفـر الـضُّبْعُ

علـــيهم وعاديـــات الكِـــلاَبِ

أو قول الثالث في معركة جاهلية همجية تجاوزت قتل الرجال إلى بقر بطون النساء الحوامل وغير الحوامل:

بَقرْنـــا مـــنكُمُ الفـــي بَقِـــيرٍ

فلـــم نـــتركْ لحاملـــةٍ جنينـــا

أو قول الآخر مفاخراً بقبيلته:

نحن بني زيد بن عمرو في الذرى
لا نطعن الطعنة إلاّ في الكُلَى

ما أسوأ أن نتفاخر بمثل تلك الأعمال البشعة؛ خصوصاً في هذه الأيام التي ينبغي أن تتفاخر الأمة فيها بالبناء والتحضر، وأن تتباهى بما حققه المتعلمون النابهون من أبنائها في مختلف ميادين الحياة، لا فرق في ذلك بين أبناء الحاضرة والبادية، حيث نجد منهم مبَرِّزين نالوا إعجاب العالم في المجالات الطبية والاختراعات العلمية، وتقدموا في الميادين الإدارية والاقتصادية وأعمال الخير الإنسانية الأخرى.

إنَّ لدينا بفضل الله من المكارم والإنجازات الماضية والمعاصرة ما هو أفضل من قتل الشيوخ، وسفك الدماء، وترميل النساء، وأخذ الغنائم من الإبل والخيل والأغنام.. فالأسر والقبائل لديها من الأفعال الحميدة والخصال الكريمة كالكرم والإيثار، وإعانة المحتاج، ونصرة المظلوم، وإصلاح ذات البين، ما يحق للأحفاد أن يفاخروا به إن كان

لابد من المفاخرة!

لقد برز من أبناء كل أسرة وقبيلة رجال كرام لهم إسهامات في خدمة وطنهم ومليكهم من عسكريين وصلوا أعلى المراتب، وموظفين تسنموا أعلى المناصب، ورجال تربية وتعليم تخرج على أيديهم أجيال وأجيال..

فليت شعراءنا وكتابنا وخصوصاً في مواقع الإنترنت يبرزون هذه الجوانب المضيئة بدلاً من اجترار بطولات المعارك الدامية، وإبراز الوجه الجاهلي القبيح!

أليس من أبنائنا من يجوب الأجواء يقود طائرات الإخلاء الطبي، وزملاؤهم يجوبون الطرق والصحاري على سيارات الإسعاف يتسابقون لإنقاذ مريض، وإيقاف نزف جريح؟.. لماذا نسكت عمن يزرعون القلوب والكُلَى، ونتغنى بمن يطعنونها برماحهم لقطع شرايين الحياة فيها؟..



١٦- الكتابة القبلية وتزايد الحساسية!*

لا يختلف اثنان على أن القبيلة تمثل عنصراً لا يمكن إنكاره في بنائنا الوطني والاجتماعي، ولا خلاف أيضاً على أن كل العقلاء متفقون على نبذ العصبية القبلية، ورفض كل ما يؤدي إلى إثارتها، إلاّ أن الكتابة العلمية عن القبيلة فيما يتعلق بالجوانب التاريخية أو الاجتماعية أو تصحيح الأنساب، يظل موضوعاً لا غبار عليه إذا توافرت للكاتب متطلبات البحث في هذا الموضوع، وتسلح بالعلم والأمانة والموضوعية.. وقد كنت واحداً من الذين اهتموا بالكتابة القبلية بتشجيع من العديد من المهتمين بتاريخ القبائل وأنسابها، وعلى رأسهم علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر رحمه الله، وقدر لي أن أبحر في هذا البحر المتلاطم، في رحلة جاوزت العشرين عاماً، حاولت خلالها أن ألفت انتباه الباحثين والمهتمين إلى أهمية تاريخ القبيلة القائم على التوثيق بدلاً من الاستفاضات العامية غير الموثقة، التي قام عليها الكثير من

---

* السبت ٢٧ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٥/٣م)، العدد (١٣٠٠١).

الأمجاد الذاتية والبطولات الوهمية التي تشبع بها عقل ابن القبيلة الناشئ، وطرب لها كهلها العامي. فنبشت من أجل ذلك الأضابير، وزرت الأراشيف، وقلبت السجلات القديمة داخل المملكة وخارجها، ونشرت العديد من البحوث والدراسات القائمة على الوثائق، في تجربة لا أدعي أنها بلغت الكمال أو قاربته، بل هي جهد بشري لا يسلم من النقص مهما اجتهد صاحبه.. ومع أن تلك الاجتهادات قوبلت بالترحاب والثناء من قبل الأكاديميين والمهتمين بالتاريخ المحلي، وحظيت بالمساندة من قبل القائمين على إدارات المراكز البحثية العلمية، إلاّ أن درجة قبولها لم تكن كذلك في أوساط العامة.. والسبب من واقع تجربتي المتواضعة يعود إلى ارتفاع نسبة الأمية في مجتمعنا عموماً والمجتمع القبلي خصوصاً؛ مما يجعل البحث في المسائل القبلية موضوعاً شائكاً مهما حاول الباحث أن يكون موضوعياً وأميناً، فابن القبيلة يريد أن يُكتب التاريخ كما استفاض لديه هو نقلاً عَمّا تواتر في مجالس السمر من رواية الآباء عن الأجداد، أو يريد أن يُكتب له التاريخ كما يلائم أمجاده التي يفاخر بها، أما تطبيق

المعيار البحثي فلا يعنيه في شيء، ولا تهمه الموضوعية التي تنتقص من تلك الأمجاد التي تصب في تلميع الذات وتفخيم الأنا الأسرية أو القبلية، ومن هنا كان لابد أن تتعالى أصوات المعترضين، وينتشر صداها ليعيق الباحث والكاتب، في مجتمع يعاني من البيروقراطية الإدارية، وضعف الوسائل القانونية لحل مثل تلك الخلافات والحساسيات الاجتماعية.

ومن هنا تكتسب الكتابة في موضوع القبائل حساسيتها المفرطة، في مجتمع تدفعه القنوات الفضائية المشبوهة ومواقع الإنترنت الهابطة نحو الهاوية من خلال تأجيج العصبية القبلية المنتنة، وتشحن النفوس الناشئة وتلهب عقول البسطاء بتفاخرات القبيلة الجاهلية!!



١٧- الوثائق.. لا نزال خلف أوروبا بـ٣ قرون!*

عندما بدأت أوروبا تنهض من سباتها في القرن السابع عشر الميلادي، وعندما بدأت الحركة العلمية تتقدم في كل مناحي الحياة، تنبه بعض رجال الكنيسة الرواد إلى مجموعات الوثائق المكدسة في الأديرة والكنائس، فالتفتوا إليها ينفضون عنها غبار الجهل والتجاهل، وهبوا يدرسونها دراسة علمية، لتصبح فيما بعد أهم المواد التي تشكل دراسة التاريخ.

يقول المؤرخ د. حسين مؤنس في هذا الصدد: "وقد أدت دراسات أولئك الرهبان إلى الكشف عن حقائق أزالت من النفوس كثيراً من الأوهام، ومن ذلك ما كشف عنه الراهب فالا (Valla ١٤٠٧-١٤٥٧)، بشأن الوثيقة المشهورة المسماة هبة قسطنطين Constantin Donation". والتي مفادها أن الإمبراطور قسطنطين الأكبر قد وهب أراضي إيطاليا للكرسي البابوي بحجة أنها إرث الرسول بطرس

---

* الثلاثاء ١ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ (٦/٥/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٠٠٤).

من المسيح عليه السلام، حيث كشف فالا زيف تلك الوثيقة التي اختلقها رجال الكنيسة ليستولوا على أغلى أراضي إيطاليا.

لكن هذا الكشف التاريخي أحدث زلزالاً عنيفاً في أوساط رجال الدين والعلماء والسياسيين، فهوجم فالا هجوماً عنيفاً، لأن المنتفعين لا يريدون معرفة الحقيقة التي ليست في صالحهم، أما العامة فهم يقادون وينقادون، ولا يحبون التحول والتبدل لأنهم وجدوا آباءهم على أمة، فهم على آثارهم مقتدون.. ولكن ولأن الحق أبلج فقد نجح الباحث فالا رغم المصاعب نجاحاً باهراً، وقد أغرى نجاحه الكثير من الباحثين فانكبوا على الوثائق يدرسونها ويمحصونها، ومن هناك بدأ عصر علم الوثائق Papleography.

ثم جاء بعد فالا العديد من رواد علم التوثيق مثل: دوشسن Duchesne، وبالوز Baluze، ومابيلون Mabillon، ومونفوكون Montfaucon، الذين أقبلوا على دراسة الوثائق المحفوظة في الأديرة والبلديات وخزائن الدولة، واجتهدوا في جمع ما لدى الأفراد من وثائق وأودعوها في المكتبات الوطنية، لتكون في متناول الناس.

لقد أدرك رواد التاريخ الحديث في أوروبا وعلى رأسهم هيجل أن التاريخ الأقرب للحقيقة أو ما عبر عنه بالتاريخ الأصلي هو الذي تستبعد منه الأساطير والأقاصيص الشعرية والتراث الشعبي..

وهنا أود أن ألفت الانتباه إلى أن القرآن العظيم قد سبق هيجل وأمثاله في التنبيه إلى هذه المسألة، ودعا إلى تحكيم العقل وعدم الانسياق وراء أقاويل الآباء والأجداد بلا علم، أو ما عبر عنه القرآن بأساطير الأولين.

ومع كل ما أحدثته الوثائق في أوروبا من ثورة في مجال البحوث التاريخية، إلاَّ أن العالم غير المتقدم والذي نحن جزء منه لم يتأثر بتلك الثورة العلمية، ولم يسمع بصداها، وبقينا إلى وقت قريب جداً دون أن نكتشف أن لدينا مئات الآلاف من الوثائق التاريخية المهمة المكدسة في محاكمنا الشرعية، وفي دوائر الأوقاف، وعند الكثير من الأهالي في القرى والمدن السعودية.

وبعبارة أخرى، لقد بقيت كنوزنا الوثائقية المحلية قابعة في أوعيتها المتهالكة نهباً لعوامل التعرية، وضحية لجهل أهلها بأهميتها،

لم تجد من يكتشف مكامنها، ولا من يجمعها ولا من يدرسها إلى سنوات قريبة جداً، لنتأخر عن ركب الحضارة الغربية في هذا المجال بثلاثة قرون.

وفضلاً عن هذا الفارق الزمني؛ فإننا لا نزال نفتقر إلى نظام يحدد مدة التحفظ على الوثائق ويمكّن الباحثين من الاطلاع عليها بلا شروط مسبقة!



١٨- فلسفة التاريخ عند ابن خلدون*

ابن خلدون هو: عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر ابن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن خلدون، ترجع أصول أسرته إلى أصل يماني حضرمي النسب، الإشبيلي الأصل، التونسي المولد والمنشأ، فيلسوف مؤرخ عالم اجتماع، ولد في تونس سنة ٧٣٢هـ (١٣٣٢م)، وتنقل بين تونس وفاس والأندلس، وتلمسان ومصر، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ. اشتهر بكتابه: العِبَر وديوان المبتدأ والخبر، كما اشتهر في مقدمة كتابه المشار إليه التي أودعها خلاصة أفكاره وآرائه، مما جعلها تعد من أصول علم الاجتماع (الأعلام، للزركلي، ج٣، ص(٣٣٠).

ودون الدخول في دراسة فكر ابن خلدون دراسة شاملة، فإن الذي يهمنا هنا تحديداً هو مقولة ابن خلدون: (أن مسار التاريخ عبارة عن دائرة مغلقة لا يزال الإنسان يدور حولها حتى يطوي الله الأرض وما عليها).

---

* السبت ١٢ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ (١٧/٥/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٠١٥).

وتتمثل فلسفة التاريخ عند ابن خلدون في: أن عمران الدول يبدأ من البداوة ونشاطها ليبلغ التحضر الذي ينتهي بالدعة والسكون، حيث إن التجمعات البشرية تجتمع في البداية لتعمل من أجل معايشها فتبدأ بالتجمع والتعاون ثم تتسع دائرة التجمع والعمل إلى أن تصل مرحلة التغلب وبناء دولة، ثم تركن إلى الهدوء ورغد العيش ثم الخمول الذي يصيب الأجيال اللاحقة. وأن كل شيء ينشأ، وينمو، ويتطور، ثم ينتهي لتبدأ دورة جديدة. لاشك أن ابن خلدون أول مؤرخ ينظر إلى التاريخ نظرة فاحصة، ويخضعه للنقد والتنظير، ويتناول كتب المتقدمين بالنقد والتحقيق، ويزنها بميزان مناهج البحث العلمي، لكنه كان ينطلق بفلسفته التاريخية من خلفية زمانية ومكانية وثقافية معينة.. فابن خلدون عاش في عصر من الاضطرابات والصراعات التي كان للقبيلة دور كبير في تفاعلاتها، وعاش في حقبة تاريخية متوترة، كانت فيها أمته تمر بمراحل عصيبة؛ بل إنها كانت تعيش مرحلة من أسوأ مراحلها إذا ما قورنت بخلفيته الإسلامية المتكئة على إرث إسلامي يزخر بأمجاد وإنجازات عظيمة مقارنة بعصره

الذي رأى فيه امته وقد بدأ نجمها في الأفول، فتسلط الأعداء في الأندلس يزداد يوماً بعد يوم، والصراعات والدسائس الداخلية على اشدها بين الحكام وأمراء الدويلات الإسلامية، والتطاحنات القبلية الغوغائية تبعث الخوف واليأس في كل أقاليم المسلمين..

وإذا كنت أنقد ابن خلدون بأنه تأثر بواقعه، فقد يكون رأيي متأثراً بواقعي، كما أنني لا اتفق مع ابن خلدون في مسألة ثبوت معدل دوران الدول الذي يضبطه على عمر الأجيال البشرية المقدرة بمئة سنة، فنحن نرى دولاً تزول وتخلفها دول خلال بضعة عقود، ونرى دولاً تتجاوز أعمارها عدة قرون كما هو الحال في الولايات المتحدة وغيرها، وبمعنى آخر فإن دورة الأجيال أكثر ثباتاً من دورة الدول، ولله الأمر من قبل ومن بعد..



١٩- فلسفة التاريخ عند هيجل*

ولد هيجل عام ١٧٧٠م في بلدة شتوتجارت في ألمانيا، درس في صباه في المدرسة اللاتينية، وكان ميالاً إلى القراءات الإغريقية واليونانية، إضافة إلى دراساته الدينية، تنقل بين عدد من المدن في ألمانيا مدرساً، فأستاذاً جامعياً لعلم الفلسفة، ثم مديراً لجامعة برلين حتى وفاته في برلين عام ١٨٣١م (هيجل: العقل في التاريخ، ترجمة وتقديم وتعليق: د. إمام عبدالفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط٣، ص١٠- ١٨).

يرى هيجل: "أن مسار التاريخ عبارة عن خط مستقيم يبدأ بالبداوة والتوحش وينتهي بتحرر البشر وعيشهم بسلام في ظل القانون".

وقبل التعليق على هذه العبارة، يستحسن أن نقف بعض الوقفات القصيرة لمعرفة الخلفية التي ينطلق منها هيجل، والاطلاع

* الثلاثاء ٢٢ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٥/٢٧م)، العدد (١٣٠٢٥).

على أهم أقواله التي تقوم عليها فلسفته في التاريخ:

يُصنّف هيجل ضمن فئة المثاليين القائلين: أن الفكرة أساس التاريخ.. أي أن حوادث التاريخ تنشأ من فكرة (Idia) يطرحها صاحبها ثم يسعى لتنفيذها، سواء كانت أفكاراً دينية أو سياسية أو غير ذلك.

وبمعنى آخر؛ فإن المثالية Idialism التي يقوم عليها مبدأ فلسفة هيجل للتاريخ تتمثل في سعي الجماعات البشرية إلى حالة التحضر (الدولة)، والتاريخ وفق هذه النظرية: هو عبارة عن عملية طويلة مقدرة. وبعبارة أخرى فإن هيجل ينظر إلى التاريخ على أنه يسير بخط مستقيم يبدأ من مرحلة البداوة وينتهي بالتحضر، أو يبدأ من الفوضى والتوحش وينتهي بالتنظيم والقانون الذي يجعل الناس يعيشون بسلام.

فالعقل - عند هيجل - هو جوهر الكون، العقل هو الذي يوجه العالم، وأن العالم تحكمه عناية إلهية، ولا تقع الحوادث بالمصادفة فقط.

إن هيجل يتبنى المثالية الزائدة على حساب الطبيعة البشرية التي خلق الله الناس عليها، فالبشر وإن كانوا يسيرون في حياتهم من البدائية إلى التحضر والتطور إلاّ أن طبيعة النفس البشرية المتمثلة في تنازع الخير والشر وصراع الحق والباطل تظل ملازمة لهم مهما تقدمت بهم الحضارة المادية ومهما تطورت الأنظمة والقوانين، فالعيش بسلام وتحقيق العدل المطلق ليس متحققاً إلاّ في مجتمع ملائكي، أو في حقبة استثنائية يبعث الله فيها نبياً أو صالحاً يقيم العدل والإصلاح إذا شاء الله ذلك، وليس دائماً، فقد رأينا أنبياء تمردت عليهم أممهم، وانتهى الأمر بقتلهم أو إخراجهم، وإهلاك أقوامهم..

وإذا كنت أنقد هيجل بأنه تأثر بواقعه، فقد يكون رأيي متأثراً بواقعي، فها نحن في مطلع القرن الواحد والعشرين قد وصلنا إلى أوج التقدم العلمي والإنساني؟ إلاّ أننا لا نرى العالم يعيش بسلام، ولم نر العدالة والسلام اللذين يقررهما هيجل!!



٢٠- استامبول.. وجاذبيتها الإسلامية!!*

إنها مدينة القسطنطينية التي تحولت بعد فتحها إلى: إسلامبول، ومعناها مدينة الإسلام، ثم حرفت إلى استامبول.. مدينة جميلة تتميز بتاريخها العريق وموقعها المميز الذي يقع على نقطة التقاء الحدود بين أوربا وآسيا مما جعلها تجمع بين محاسن الشرق ومفاتن الغرب.. حتى قال نابليون: لو كنت أحكم العالم لاتخذت استامبول عاصمة له.. وقيل عنها أيضاً: لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية عاصمة لها.

تأسست عام ٣٣٠م على يد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين، ولم تلبث أن أصبحت عاصمة الدولة البيزنطية، وأكبر مدن العالم وأكثرها أهمية لعدة قرون.

ولأهميتها ومكانتها العالمية فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنها ستفتح على يد المسلمين فقال: "لتفتحن القسطنطينية على يد رجل، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش". مسند

---

* الجمعة ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (٦/٦/٢٠٠٨م)، العدد (١٢٠٣٥).

الإمام أحمد ٤- ٣٣٥ .

وقد حاول كثير من الزعماء المسلمين على مر العصور أن ينالوا شرف فتح القسطنطينية، لكن ذلك لم يتحقق إلاّ على يد المجاهد السلطان العثماني محمد الفاتح بن السلطان مراد الثاني، وذلك سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م بعد جهاد بطولي ومعارك ضارية وحصار قوي امتد ما يقارب الشهرين، أظهر فيه السلطان محمد الفاتح وجيشه العجائب من الشجاعة والتخطيط وفنون الحرب، وكان من أهم ابتكاراته الحربية التي لم يسبق إليها تسيير السفن الحربية على اليابسة للالتفاف على سفن العدو وعبور سلسلة الحواجز الحديدية التي تغلق المضيق، والوصول إلى القرن الذهبي عبر تلال مغطاة بأشجار الغابات، بحيث عمد السلطان إلى قطع الأشجار وتمهيد طريق مؤقت لزحلقة السفن على أخشاب متدحرجة يدفعها رجال جيشه الأقوياء، وتجرها الخيول حتى تمكنوا من سحب سبعين سفينة حربية متوسطة إلى صغيرة الحجم، وكان هذا العمل من معجزات محمد الفاتح التي أذهل بها أهل القسطنطينية.

واليوم تعد استامبول من أكثر مدن العالم استقطاباً للسياح،

جعلت تركيا تحتل الترتيب الثاني عالمياً باجتذاب السياح بعد إسبانيا، ومن الجميل أن الجامع بين أكبر بلدين لاجتذاب السياح في العالم هو التاريخ الإسلامي وآثاره الخالدة.. ومن أبرز الآثار الإسلامية في استامبول الجميلة مساجدها التي يأتي في مقدمتها مسجد محمد الفاتح، ومسجد السلطان أحمد، وقصر طوب قاي الذي يعد متحفاً إسلامياً يضم بين جنابته مجموعة كبيرة من الآثار الإسلامية النادرة، كما يعد إرشيفاً وثائقياً متميزاً، وخزانة لوثائق السلاطين العثمانيين لكونه مقر الحكم منذ فتح القسطنطينية. ومن المعالم العالمية البارزة الأرشيف العثماني المسمى: إرشيف رئاسة الوزراء الذي يعد أكبر ثالث أرشيف في العالم، يتضمن وثائق الدولة العثمانية منذ إنشائها عام ٦٦٩هـ، ولهذا فهو مقصد الباحثين والمؤرخين من أنحاء العالم! وغير ذلك من معالم إسلامية أخرى لا يتسع المجال لسردها.



٢١- الجامعة العربية بعد نصف قرن!*

لعل الدور الذي قامت به الجامعة العربية مؤخراً في حلحلة المشكلة اللبنانية، يعيد التذكير بالجامعة العربية التي كادت أن تسقط من ذاكرة الأجيال المعاصرة بسبب عجزها على مدى نصف قرن عن كسب تعاطف الشعب العربي وعدم قدرتها على تحقيق ما يتوخاه منها.

في أغسطس عام ١٩٤٤م (شعبان ١٣٦٣هـ) عقد مؤتمر عربي في القاهرة بدعوة من رئيس وزراء مصر السيد مصطفى النحاس، حضره ممثلون من سبع دول عربية هي مصر وسوريا والأردن والعراق والسعودية واليمن، ونوقشت فيه قضية الوحدة العربية، وكانت الظروف العربية آنذاك مضطربة، والعالم تموج به عواصف الحرب العالمية الثانية، فانعقد المؤتمر في أجواء من الحذر والريبة بين حكومات لم تزل بعد تحت نفوذ المستعمر الذي نجح في زرع الشك والقلق بين زعمائها، فلم

* السبت ٣ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٦/٧م) العدد (١٣٠٣٦).

يعد أحد منهم يثق بنوايا الآخر.

وتلا ذلك المؤتمرَ مؤتمرٌ آخر تم فيه التوقيع على ميثاق الجامعة العربية في ٢٢ - ٣ - ١٩٤٥م (٨ - ٤ - ١٣٦٤هـ)، وكانت الحرب العالمية الثانية في مراحلها الأخيرة.

وعند إنشاء الجامعة العربية كانت بريطانيا تهيمن على أجزاء كبيرة من البلاد العربية، فهي موجودة عسكرياً وسياسياً وإدارياً في كل من مصر والأردن وفلسطين والعراق والسودان والكويت والإمارات العربية وقطر وعمان وجنوب اليمن، فضلاً عن سيطرتها الفعلية على استثمارات البترول في الخليج العربي وإيران، وكانت حريصة على مصالحها في تلك الدول وهي توقع مع الدول العظمى معاهدة إنهاء الحرب العالمية واستسلام دور المحور.

ولأن تلك الاجتماعات وما تمخض عنها من نتائج ومنها انبثاق الجامعة العربية ونظامها كان محاطاً بالنفوذ البريطاني ودسائسه؛ فقد ولد ذلك النظام العربي مشوهاً وغامضاً؛ بدليل أن نظام الجامعة احتوى ضمناً خدمة المصالح البريطانية أكثر من

خدمة الوحدة العربية، واستطاعت بريطانيا بدهاء أن تدس فيه البنود التي ترغبها ومنها: ضمان المصالح البريطانية شرق قناة السويس، واستمرار السيطرة على قناة السويس، وإعطاء بريطانيا امتياز حفظ الأوضاع الأمنية والسياسية في المنطقة بدعوى مواجهة الخطر الشيوعي، فضمنت بذلك التمهيد المبطن لإقامة إسرائيل!

أما مصطلحات تأكيد الحرية والسيادة والاستقلال فقد استخدمت بطريقة تقوي حق كل دولة منفردة على حساب القرار العربي الجماعي أو الوحدوي. مما أعطى كل دولة حق تعطيل أي قرار تحت ذريعة السيادة الوطنية.

وقد أثبتت الوقائع العربية أن الإفراط في اتخاذ القرارات المنفردة بذريعة السيادة الضيقة قاد إلى التفريط في المصالح العربية المشتركة، وأفقد العرب التنسيق في مواقفهم، وأدى إلى زيادة الفرقة والإضرار بمصالح الأمة.



٢٢- ستون عاماً بعد النكبة (١-٥)
حركات التغيير العربية ماذا قدمت؟*

مضى على احتلال فلسطين وقيام دولة اليهود ستون عاماً، جرى فيها الكثير من التحولات السياسية المتلاحقة في الوطن العربي، كان أبرزها ما حدث في بعض الأقطار العربية من حركات ثورية وتغييرات سياسية كبيرة؛ خصوصاً بعد ما يسمى بعهد الاستقلال من الاستعمار الأجنبي الذي وقع فيه العالم العربي بعد معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٦م.

ولعله قد حان الوقت لمراجعة تلك التحولات السياسية العنيفة، لنعرف مدى ما حققته الأنظمة العربية من إنجازات وطنية، ومدى تأثيرها على تطوير حياة المواطن العربي الذي أغرته بشعاراتها الوطنية والقومية التي اتخذتها أساساً لقيامها.

ذلك المواطن الذي يتساءل باستمرار: هل حققت تلك التغييرات السياسية آمال الأمة وتطلعاتها، أم أنها زادت من مواجعها،

---

* الاثنين ٥ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٦/٩م)، العدد (١٣٠٣٨).

وأعاقت مسيرتها السياسية والتنموية، ولم تستطع تحقيق ما كانت تـصبو إليـه الـشعوب العربيـة مـن الرخـاء والديمقراطيـة والمكانـة السياسية اللائقة بها.

وإذا ما استثنينا دول الخليج العربي التي حققت الكثير من الاستقرار السياسي والاجتماعي، وحافظت على مستوى لا بأس به من التضامن والتقارب، فقد أصبح واضحاً للعيان أن المسألة السياسية العربيـة في معظم الجمهوريات أصبحت معضلة مزمنة، بعد هذا الانتظار الطويل للمواطن العربي الذي يتطلع إلى الوحدة ولا يرى إلاّ تفرقاً، ويأمل بالتضامن ولا يرى إلاّ تباعداً، ويحلم بحرية الرأي والتعبير ولا يجد إلاّ صوتاً واحداً هو صوت الحزب الحاكم في كثير من أرجاء الوطن العربي!

لقد عانى المواطن العربي في أوائل القرن الماضي من الانتكاسات التاريخية المتلاحقة، وتعب من حالة العزلة والتخلف قروناً طويلة، وعندما تقاربت الحضارات واتصل الشرق بالغرب واطلع على حضارة الشعوب الأخرى ونهضتها وقوتها، تطلع إلى النهوض أسوة بالأمم

الناهضة، فاستورد شعارات التقدم، والحرية، والديمقراطية، والعدل، والرفاهية، وصفق للمنادين بها، واعتقد أنه قد أصبح منها قاب قوسين أو أدنى، لكن شيئاً من ذلك لم يتحقق، وما دفعه المواطن العربي من تضحيات ذهبت أدراج الرياح، ومن ثار عليهم باعتبارهم أسباب الظلم والتخلف حل محلهم من لم يحقق آمال الشعوب.

ولهذا؛ فإن ظاهرة الانتكاسات المستمرة والتقهقر المتواصل للنظام العربي على المستويين المحلي والدولي، وما تمخض عنه من تراجع مفزع في كل النواحي من سياسية واقتصادية وتعليمية، أمر يحتاج إلى مراجعة متعمقة ودراسات جادة، تشخص هذا الداء المزمن، وتحلل الأسباب الحقيقية لتلك الأزمات والنكبات!



٢٣- ستون عاماً بعد النكبة (٢-٥)
الفكر القومي وملابساته*

يُعد القرن التاسع عشر الميلادي بداية الاتصال الفعلي للعالم العربي مع العالم الحديث بعد زيادة اهتمام الغرب الأوربي في المشرق العربي، وتدخله السياسي السافر من أجل إسقاط الخلافة العثمانية، وتخطيطه لتقسيم تركتها بين الدول الأوربية المستعمرة؛ فضلاً عن الهدف الأساسي المتمثل في إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين.

وقد كانت خطة إنشاء دولة إسرائيل اليهودية، والمحافظة على بقائها تتطلب واقعاً جديداً يتمثل في إضعاف الدول المحيطة بإسرائيل، وعدم السماح لها بما يحقق التفوق العسكري، مما يستلزم الحيلولة دون ما يؤدي إلى ذلك التفوق من نهضة علمية أو اقتصادية، فضلاً عن الاستقرار السياسي!

* الأربعاء ٧ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (١١/٦/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٠٤٠).

ومن سوء المصادفات أن العالم العربي والإسلامي كان يشهد أواخر القرن التاسع عشر أقصى مراحل الضعف والانحطاط، في حين كان الغرب المتفوق إعلامياً وحضارياً وسياسياً يرسم أهدافه بوضوح، وينفذها بدقة، مما جعل الطرف الأول الغارق في الضعف والتخلف يكون أرضاً خصبة، ويصبح أداة طيعة لتنفيذ تلك المخططات، مخدوعاً بالوعود المعسولة تارة، ومرغماً بالقوة العسكرية تارة أخرى.

ومع ذلك فإن الاتصال بين الشرق المتخلف والغرب المتقدم قد أوجد جذوة فكرية، وتطلعاً نحو النهوض لدى بعض النابهين من أبناء العرب والمسلمين الذين اطلعوا على نهضة الغرب وعرفوها.

كما أن الفكر القومي الذي زرعه الغرب في الأمتين التركية والعربية، من أجل فصلهما عن بعضهما والذي توج بقيام ثورة القوميين الأتراك وقيام حزب تركيا الفتاة في ٢٣ يوليو ١٩٠٨م، قد أجج نار القومية العربية المضادة على يد من أطلقوا على أنفسهم الأحرار العرب، المطالبين بالتحرر من الحكم التركي، محملين الدولة العثمانية سبب تخلفهم، ومتهمين القادة الأتراك الجدد بالتحامل

على العرب واضطهادهم.

غير أنه يجب ملاحظة أن هذه القومية لم تكن لتظهر بذلك الزخم لولا أن بريطانيا وفرنسا هما اللتان زرعتا بذرتها في الخفاء، وحثتا أولئك القوميين على رفع شعار القومية العربية في وجه الدولة العثمانية، التي كانت الهدف الرئيس لدول الاستعمار الأوربي آنذاك.

ويعترف العديد من الكتاب والسياسيين العرب بعد فوات الأوان بأن تلك الدعوة للقومية العربية التي تزعمها شريف الحجاز كما سيأتي، وانخدع بها الكثير من أحرار العرب لم تكن مبنية على رؤية قومية واضحة، ولا على وعي قومي حقيقي.

وبالطبع فقد كانت شعارات الديمقراطية والحرية مجرد طعم كلامي يُلوَّح به للعرب، يرى دهاة الغرب أنه لا بأس من تداوله شعبياً ما دام في إطار الأقوال والخطب الرنانة التي تطرب لها تلك الجماهير، ولكن لا يسمح للعرب بالاقتراب من تحقيق ذلك، لأن الدول الكبرى التي تسعى إلى الهيمنة على دول العالم العربي لا ترتاح لقيام الإصلاح

الحقيقي لأنه يتعارض مع أهداف المحتل، ولهذا فقد كان من يُلحظ عليه التوجه الجاد نحو تلك الإصلاحات من الزعماء الترك أو العرب يتم التخلص منه بسرعة، أو خلق المتاعب له!

وبصريح العبارة يقول أحد المخططين الصهاينة على لسان الغرب: "سيحظى العرب بمعاملة حسنة طالما أنهم لا ينهضون".



٢٤- ستون عاماً بعد النكبة (٣-٥)
الثورة العربية الكبرى ومرارة الحصاد!*

إنها الثورة التي قام بها العرب ضد الدولة العثمانية، وكان شعارها الظاهري استقلال العرب وإنهاء تبعيتهم للدولة العثمانية، في حين باطنها خدمة بريطانيا وحلفائها من خلال إسقاط الخلافة العثمانية، التي وحدت الأمة الإسلامية والعربية لعدة قرون، وحالت دون تحقيق المصالح والمطامع الأوروبية في الشرق الإسلامي، وقد بدأت بذرة الثورة العربية بعد إعلان الدستور التركي وقيام حزب الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨م، وتبلورت جذوتها بعد انكسار العثمانيين في الحرب البلقانية عام ١٩١٢م، وبعد عمل استخباراتي دؤوب من أجل تأليب بعض زعماء العرب للثورة على تركيا، انطلقت رصاصة الثورة من قبل الشريف حسين في مكة بتاريخ ٩ شعبان ١٣٣٤هـ (١٠ يونيو ١٩١٦م) لتبدأ بعد ذلك ثورة عارمة في الحجاز وفي غيره من الأقطار العربية ضد

---

* الجمعة ٩ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٦/١٣م)، العدد (١٣٠٤٣).

الأتـراك المسلمين وحاميـاتهم، ولتنتهـي هـذه الثـورة بإنهـاء الوجـود العثمـاني، وبهزيمـة الدولـة العثمانيـة في الحـرب العالميـة الأولى عـام ١٩١٨م.

لكن الذي ربما لا يدركه الكثير من العرب حتى الآن أن تلك الثورة وتلك المطالبات لم تكن في الحقيقة أو في معظمها إلاّ بتحريض من البريطانيين الذين بعثوا القوميتين التركية والعربية لضرب العرب والأتراك المسلمين ببعضهم ضمن خطة إسقاط تركيا واحتلال بلاد العرب، والدليل أن بريطانيا التي دعمت ذلك التوجه القومي الغربي وقام دعاتها في المنطقة بإعطاء الوعود البراقة للزعماء العرب المطالبين بالاستقلال، قامت في أوج ذلك الاندفاع العربي، بتوقيع معاهدة سايكس - بيكو مع الفرنسيين لتقسيم المنطقة في ١٦/٥/١٩١٦م، فعملت على إسقاط أول مشروع عربي للاستقلال والوحدة!

ففي التاريخ المشار إليه وقعت الحكومتان البريطانية والفرنسية اتفاقية سرية عرفت باتفاقية سايكس بيكو، واقتسمت

الـدولتان بموجبهـا البلـدان العربيـة الـتي تخلـت عنهـا تركيـا إثـر هزيمتها في الثورة العربية وفي الحرب العالمية الأولى، فاحتلت بريطانيا فلسطين والأردن والعراق، واحتلت فرنسا سوريا ولبنـان، ومـن بـاب ذر الرماد في العيون أطلق الإعلام الغربي ومن بعده العربي على ذلك الاحتلال مصطلحات أكثر قبولاً من الاحتلال مثل: الاستعمار، أو الانتداب، أو غير ذلك!

وتلت ذلك خطوة أكثر خطورة وخبثًا وهي إقدام بريطانيا على تبني المشروع الصهيوني الغربي المتمثل بإقامة وطن لليهود على أرض فلسطين، وإقامة دولة يهود معادية للعالم العربي، فأعلن وزيـر خارجيتها آرثر بلفور الوعد بذلك بتاريخ الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٧م.

ويـرى كثير مـن المحللين أن هـذا الوعد بالإضافة إلى هدفه الـرئيس وهـو إقامـة دولـة مـستقلة تجمـع شـتات يهـود العـالم؛ فـإن بريطانيا وحلفاءها كان لهم هدف آخر لا يقل أهمية، وهو إضعاف العرب والمسلمين، والحيلولة دون أن يكون لهـم كيـان قـوي يـستطيع

مجابهة الغرب المسيحي، وهذا لا يتحقق إلا من خلال الأهداف التالية:

١- الحيلولة دون الوحدة الوطنية الحقيقية للأقطار العربية، من خلال إحياء الخلافات السياسية والجغرافية، وزرع بذور التفرقة، وإثارة الفتن الطائفية والمذهبية والعرقية.

٢- الحيلولة دون نهوض تلك الأقطار وإبقائها في حالة مستمرة من التخلف العلمي والصناعي والاقتصادي.

٣- الحيلولة دون حصول العرب على قدرات عسكرية متطورة، ومنعهم من الحصول على أسلحة حديثة أو تطوير أسلحتهم الذاتية.

وقد وفت الدول الغربية الكبرى بالتزاماتها تلك، ونجحت في تحقيق أهدافها، ووقع العرب ضحية للتحالف الغربي الصهيوني!



٢٥- ستون عاماً بعد النكبة (٤-٥)
الثورة الناصرية وكشف حساب*

ربما تعد مصر الدولة العربية الأكثر تعرضاً للاستعمار (الاحتلال) الأجنبي في تاريخها، وذلك بسبب أهمية موقعها وشعبها وثرواتها، ولهذا كان تركيز المستعمر الأجنبي عليها تركيزاً كبيراً، وهذا ما جعلها هدفاً للاعتداءات والحملات العسكرية حيناً، وللمؤامرات والدسائس الاستخباراتية أحياناً أخرى، من أجل إضعافها وعزلها عن الاتحاد مع محيطها العربي، وفي هذا الإطار زرع أعداء مصر بذرة القومية الفرعونية وثقافتها، وسعوا إلى تحقيق ذلك سراً وعلانية.

وكردة فعل موازية انطلقت في مصر الدعوة إلى القومية العربية على يد مجموعة من السياسيين المصريين الداعين أيضاً إلى الوحدة العربية، وكان على رأسهم رئيس الوزراء مصطفى النحاس. لكن الثورة المصرية التي فاجأت المصريين والعرب جعلت الأمور في مصر

---

* الاثنين ١٢ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٦/١٦م)، العدد (١٣٠٤٥).

تأخذ منحى جديداً، واستقبلها الشارع المصري استقبالاً حاراً على أساس أنها قضت على النظام الفاسد لتحرر الأمة من موروث النظام المتهالك ومن الوجود الأجنبي، كما يقول إعلامها!

وقامت الثورة العسكرية التي قادها تنظيم من الضباط المصريين أطلقوا على أنفسهم: الضباط الأحرار. وتمكن الضباط من السيطرة على الحكم، وإسقاط النظام الملكي في انقلاب عسكري يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م.

واكتسبت الثورة تعاطفاً شعبياً مصرياً وعربياً عندما أقدم جمال عبدالناصر على اتخاذ بعض القرارات الوطنية الجريئة مثل بناء سد أسوان، وتأميم قناة السويس، ثم قيام الوحدة مع سوريا، مما جعل الرئيس عبدالناصر يحتل مكانة متقدمة في الشارع العربي كأول زعيم يتحدى الاستعمار ولا يخاف من الدول الكبرى!

لكن هذا الالتفاف الشعبي حول عبدالناصر وضباطه سرعان ما خف بسبب الانشقاق بين الرئيس جمال عبدالناصر وقيادات الإخوان المسلمين.

كما أن هزيمة يونيو حزيران عام ١٩٦٧م المدوية لمصر والعرب أصابت الشعبية العارمة التي حققها جمال عبدالناصر بشرخ كبير، وأحدثت صدمة عنيفة للجماهير العربية، مما أضعف تلك الشعبية، ثم جاء دور الرئيس أنور السادات ليضيف المزيد من إضعاف تلك الشعبية، فتراجع التيار الناصري تراجعاً كبيراً في عهده، وتعرض للمزيد من الانقسامات.

وكان من أبرز إخفاقات الثورة اتجاهها نحو حصر السلطة في التيار الواحد، وإلغاء التيارات الحزبية الأخرى، وخصوصاً التيار الإسلامي، الذي أقصاه عبدالناصر بعد نجاح الثورة، واستمر خلفاؤه من بعده بضرب الحركة الإسلامية، وعدم السماح لها بالمشاركة السياسية على أسس ديمقراطية.

ومع ما حققته الثورة من الاستقرار السياسي ووحدة أراضي القطر المصري؛ إلاّ أن سياسة الانفراد بالحكم، ومبدأ سلطة الحزب الأوحد، قد أضرت بالبلاد إدارياً واقتصادياً، وتعالت أصوات المعارضة بحجة ارتفاع وتيرة الفساد الإداري، واستشراء البيروقراطية في أسوأ

صورها، ومنددة بتراجع الإنتاج وزيادة الاعتماد على الدعم الخارجي، وازدياد البطالة، وهجرة العقول والمهارات، وتزايد معدلات الفقر، فضلاً على الخنوع السياسي للقوى المساندة لإسرائيل!!



٢٦- ستون عاماً بعد النكبة (٥-٥)
الوحدة العربية بين اليأس والتفاؤل*

كانت وحدة الصف العربي من أهم التطلعات التي كان يحلم بها المواطن العربي، بل إنها كانت حاجة ملحة في مواجهة المشروع الصهيوني التوسعي، وكانت أول تجربة وحدوية في العصر الحديث الوحدة السورية المصرية التي تم توقيعها بين البلدين عام ١٩٥٨م، لكن تلك الوحدة لم تلبث أن تمزقت بعد ٤٤ شهراً فقط، فكانت بداية الانفصالات العربية.

وإنه لمن المحزن أن العرب الذين تطلعوا للنهوض والاستقلال بعد سقوط الدولة العثمانية، وبعد الكفاح المرير ضد الاستعمار الأوربي، والحماس الذي بلغ أوجه بعد دحر العدوان الثلاثي وتحقيق الوحدة بين مصر وسوريا، أن يأخذ ذلك الحماس والاندفاع بالتراجع بعد انهيار الوحدة، ليبلغ مداه بعد هزيمة ١٩٦٧م، ولتكتمل حلقاته بعد

* الاثنين ١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (١٩/٦/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٠٤٨).

الاختلاف المصري السوري في حرب ١٩٧٣م، وميل الرئيس أنور السادات إلى المفاوضات، وقيامه بزيارة إسرائيل!

ولم يلبث ذلك الانشقاق أن استشرى في الوطن العربي من محيطه إلى خليجه، ولم يقتصر على مصر وسوريا، بل تعداها إلى أقطار عربية أخرى، ليتطور إلى نزاع مسلح يوجه فيه العربي بندقيته إلى صدر أخيه بدلاً من توجيهها لأعداء الأمة الحقيقيين، مما زاد التهاب المناطق الحدودية، وجعل معظم القادة العرب يعدون ما استطاعوا من قوة، ويحشدون جيوشهم على الحدود، ليرهبوا بها دول الجوار الشقيقة!!

لقد كان المواطن العربي المغلوب على أمره يأمل أن تكون هزائم العرب في ١٩٤٨م و١٩٦٧م، عاملاً على حشد الصفوف واستثمار الطاقات، وإحياء التضامن والوحدة والتقارب، إلاّ أنه فوجئ بقادته وهم يزدادون تفرقاً وتناحراً، ويوغلون في التشرذم والتفكك، ومما زاد الأمور سوءاً في هذا المجال هو تفرد الكثير من القادة العرب باتخاذ القرارات الانفصالية الخطيرة المبنية على مواقف فردية ومصالح شخصية،

وتغييب دور الشعوب، وحجب مشاركتها في الحياة السياسية العامة!

إن آمال المواطن العربي في تحقيق هذه الوحدة خلال العقود الماضية قد أصيبت بضربات موجعة من الإحباط واليأس في ظل الضعف والتنافر بين كثير من رؤساء وملوك العرب المعاصرين، في الوقت الذي نرى الدول الأوربية تتوحد، والدول الشيوعية تتضامن، والدول الآسيوية تتكامل، في اتحادات سياسية واقتصادية وعسكرية متينة وفاعلة على الرغم من اختلاف لغاتها وثقافتها وربما دياناتها!



٢٧- تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م*

العبارة أعلاه هي عنوان إصدار أنيق يقع في ٢٨٨ صفحة، هو ترجمة لكتاب من تأليف الفرنسي لويس كورانسيه، قام بترجمته والتعليق عليه د. محمد خير البقاعي، وشارك د. إبراهيم بن يوسف البلوي في الترجمة، وأشرفت عليه ونشرته - مشكورة- دارة الملك عبدالعزيز، في طبعته الأولى لعام ١٤٢٦هـ، وإن كان تأخر صدوره إلى بداية هذا العام ١٤٢٩هـ.

والمؤلف الكسندر لويس كورانسيه (١٧٧٠- ١٨٣٢م)، كان قنصل فرنسا في حلب خلال المدة من ١٨٠٢ إلى ١٨١٠م. وأثناء وجوده هناك اهتم بكتابة التقارير عن تلك الدولة الناشئة، وموافاة أبناء جلدته بها، ومع أنه كان على قدر كبير من تحري الدقة إلاّ أنه نقل إلى قومه الكثير من المعلومات غير المحققة التي ربما استقاها من مصادر غير صادقة أو من جهات معادية للدعوة.

---

* الأحد ١٠ رجب ١٤٢٩هـ (١٣/٧/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٠٧٢).

ومع أن هذا الكتاب قد ظهر في أوروبا في حياة المؤلف، وطبع في باريس عام ١٨١٠م، فصار مصدراً لكثير من المراجع الغربية عن الدولة السعودية، إلاّ أن هذه الترجمة التي تأتي بعد مئتي سنة من نشر الكتاب بلغته الأصلية، تعد أول ترجمة عربية متكاملة ومحققة تحقيقاً علمياً.

ولهذا فإنه يحمد للدارة قيامها بالإشراف على هذا الكتاب وطباعته، كما يشكر المترجمان على ترجمته بهذا المستوى المتميز، ولعله من الإنصاف أيضاً الإشادة بجهود د. محمد البقاعي الذي قام بالتحقيق والتعليق فضلاً عن الترجمة مع زميله د. البلوي، ود. البقاعي له جهوده المشهود لها في ترجمة المؤلفات الغربية؛ خصوصاً الفرنسية.

وكما جاء في مقدمة هذا الإصدار؛ فإن هذا الكتاب ظهر في فترة كانت الصورة فيها غير واضحة عن الدولة السعودية التي بدأ نجمها يلمع في الجزيرة العربية، وبدأت قوتها ترعب القوى السياسية المحيطة بها، مما مهد لرواج الإشاعات الكاذبة عن حقيقة الدعوة وتوجهاتها الدينية والسياسية، فانخدع بتلك الشائعات كثير ممن

كتبوا عنها.

أقول: لكن المعلق وفق كثيراً في الرد على تلك المعلومات وتفنيدها، دون أن يغيب شيئاً من عبارات المؤلف مهما كانت حساسيتها أو بعدها عن الحقيقة.

وعلى الرغم من وجود بعض المعلومات المتحاملة على الدعوة السلفية وعلى الدولة السعودية، إلاّ أن المؤلف كعادة الغربيين حاول أن يكون منصفاً وموضوعياً، ولذلك فإنه بشكل عام كان ينظر إلى الدعوة السلفية نظرة معتدلة؛ مقارنة بما دونه كثير من الكتّاب الغربيين، بل إنه يورد عنها عبارات منصفة مثل قوله في ص(٤٧): "إن أساس الدعوة الوهابية هو مبادئ القرآن الكريم التي نزعوا منها المعتقدات الباطلة التي شوهتها لدى المسلمين الآخرين، إذاً ليست الوهابية مذهباً جديداً، ولكنها الإسلام في نظرته الأولى".

وقوله في ص(١٨٣): "... فالمصلح محمد بن عبدالوهاب أعاد للدين الإسلامي نقاءه الأصلي، وخلصه من الشوائب كلها".

وقوله في ص(٢٠١): "ليست دعوة محمد بن عبدالوهاب مذهباً

جديداً، إنها الإسلام نفسه الذي ندب له نفسه ليعيد إليه صفاءه الفطري ....إلخ".

وختاماً: فإني أهيب بقراءة هذا الكتاب لأهميته، كما أود أن أثني على جهد د. البقاعي وزميله، كما أشكر الدارة على إشرافها وعلى إخراجها للكتاب بهذه الصورة المتقنة، وسيكون لنا معه وقفات أخرى تتناول بعض مضامينه، إن شاء الله.



٢٨- أهل الشرق العربي في عيون فرنسية!
(١-٣)*

إن أسباب هذا الضعف الذي تعيشه أمتنا من أولويات مشاكلنا المزمنة التي تحتاج إلى مراجعة واعية، ودراسة دقيقة، لمعرفة أسباب الخلل الذي يعيق نهضتنا، ولا شك أن ذلك لا يتحقق إلاّ من خلال نقد ذاتنا نقداً صادقاً، لا يقوم على الاعتداد بكبرياء الماضي السحيق، ولا يتكئ على التغني بقصائد تفخيم الذات التي لا تقدم إلاّ نشوة التفوق الكاذبة، فنخدع بها أنفسنا وأجيالنا في عالم لا يعرف إلاّ الفعل الحاضر، ولا يحترم إلاّ من يثبت وجوده بالأفعال لا بالأقوال.

إذا كانت العين التي نرى بها الأشياء لا ترى نفسها إلاّ بمرآة، كما يصوّرها الشاعر؛ فإنه من الضروري أن ننظر إلى أنفسنا بواسطة عيون الآخرين، وأن نراها من خلال ما كتبه عنا جهابذة الفكر والسياسة الأوربيون؛ خصوصاً في زمن تفوقهم في الإدارة والسياسة، وفي

---

* الأربعاء ٢٧ رجب ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٧/٣٠م)، العدد (١٣٠٨٩).

الصناعة، وفي التخطيط والتنظيم وإدارة الوقت.

لماذا لا نستمع إليهم وهم الذين أخلصوا لبلدانهم حتى تبوأت مكانة قيادية رائدة في العالم المعاصر، بينما تقبع أمتنا في مكانة لا تليق بها ولا تتناسب مع تاريخها العظيم الذي بوأها قيادة العالم في حقبة زمنية استمرت لعدة قرون؟

قد يقول بعضنا إن أولئك الغربيين أعداء حاقدون، ومستعمرون متجبرون، ينظرون إلينا نظرة لا تخلو من التحامل والاحتقار.. وأقول: لكن كتاباتهم في الواقع لا تخلو من الموضوعية والإنصاف ليس حباً في العرب، ولكن لأنهم في الغالب يحاولون نقل الحقيقة لشعوبهم.

ومع أخذ كل ذلك بالحسبان؛ فإنه من المهم أن نستمع إلى ما كتبه عنا بعض المستشرقين الغربيين سواء كانوا من الدبلوماسيين الذين عملوا في بعض أقطار العالم العربي، أو الرحّالة الذين مروا بديارنا، وسجلوا ملحوظاتهم عن أحوالنا، راجياً أن نستمع إلى ما قالوه أو كتبوه بشفافية، وتقبل للنقد، وألاّ نلجأ إلى إسقاطاتنا التي

تعودنا أن نبرر بها أخطاءنا، ونعلّق عليها إخفاقاتنا من خلال اتهام من يظهر سلبياتنا بالتحامل أو التآمر، أو الجهل بخصوصيتنا!!

ومن أقدم من كتب عن السعوديين الدبلوماسي الفرنسي لويس دو كورانسيه (١٧٧٠- ١٨٣٢م) الذي قضى في المشرق العربي مدة طويلة متنقلاً بين مصر والشام، ثم قنصلاً دبلوماسياً في حلب خلال المدة من ١٨٠٢ إلى ١٨١٠م، وهو صاحب كتاب: تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م[٢].

ويُعد هذا الكتاب من أول ما أُلّف عن الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.. ومع أهمية الكتاب وقيمته العلمية إلاَّ أنه يتضمن بعض المعلومات غير الحقيقية أحياناً، والمتحاملة جداً أحياناً أخرى، بسبب اعتماد المؤلف على مصادر معادية للدولة السعودية، ولأنه لم يكتب عنها عن قرب ومشاهدة؛ ومع ذلك فقد أنصف هذه الدعوة بعبارات لا نجدها عند غيره كما أشرنا إليه فيما سبق.

---

(٢) صدرت ترجمته العربية عن دارة الملك عبدالعزيز عام ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

والذي يهمنا من كلامه هو بعض ملحوظاته الشخصية عن العرب عموماً من خلال معرفته بالعرب في مصر والشام والعراق، غير أنه ينبغي ملاحظة أن الغربيين الذين كتبوا مذكراتهم في عهد سيادة الدولة العثمانية على العالم الإسلامي اعتادوا على وصف أهل المشرق بالأتراك أو العثمانيين، وذلك تمشياً مع تبعيتهم للدولة، وليس بحسب جنسهم.. (وللحديث صلة).



٢٩- أهل الشرق العربي في عيون فرنسية!

(٢-٣)*

لا شك أن كورانسيه الذي يكتب تقاريره السرية لحكومته وبني جلدته كان يسعى إلى تقديم ملحوظات دقيقة، ويحاول رسم صورة واقعية من وجهة نظر غربية عن حياة الشرقيين من خلال معايشته لها.

ولن نتوقف عند كثير من الجوانب التي تحدث عنها كورانسيه وعلى رأسها علاقة الحاكم بالمحكومين، وعلاقة الأبناء بالوالدين، والعلاقة بين الرجل والمرأة، والعلاقات الاجتماعية بأنواعها.

أما فيما يتعلق بالعلاقة الزوجية فقد عقد مقارنة غير موضوعية ونظر إلى قوامة الرجل على المرأة عندنا على أنها نوع من الاستعباد والاستبداد الشرقي، لجهله بحقيقة القوامة وحقوقها الشرعية.

---

* الأحد ٢ شعبان ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٨/٣م)، العدد ١٣٠٩٣ .

وأول ما يطالعنا به في ملحوظاته عن العرب ما يقوله عن اللباس الشرقي الذي يربط بينه وبين الكسل، فيقول: "وتلتف حول أجسادهم كيفما اتفق أجود أنواع الأقمشة والأصواف الكشميرية التي لم تفسد شكلها طريقة اللبس الغريبة، إن ذلك الطابع الفضفاض والبساطة تضفيان على ملابسهم أناقة خاصة". لكنه يستدرك قائلاً: "ولكن تلك الأناقة تعيق سهولة الحركة؛ إن الزي الشرقي هو زي الأبهة والراحة، والزي الأوربي هو زي الحركة والحرب".

ويقول في موضع آخر: "فالأوربيون يرمون من وراء تحسين مظهرهم إلى أن يكونوا محببين، والشرقيون لا يرون في مظهرهم إلاّ وسيلة لفرض أنفسهم وزرع رهبة في نفوس الآخرين..".

وأعتقد أن الكاتب محق في ذلك، علماً أنه كان يتحدث عن الزي الشرقي قبل مئتي سنة، أما لو رأى عناية شبابنا اليوم بأشمغتهم ومرازيمها وتنسيقاتها التي تأخذ من الشاب الكثير من الوقت والجهد، وتعوق المرونة اللازمة لأداء كثير من الأعمال، فماذا عساه أن يقول؟.

أما عن رأيه في الزواج بشكل عام فيمكن الوقوف عليه من قوله:

"فالزواج في فرنسا حالة من حالات الحرب، يسعى فيها كل من الطرفين إلى فرض سلطته على الآخر، ومن هذا التسابق يتولد القلق، والخلاف والمآسي التي تخيم على الحياة الأسرية لدينا. أما في الشرق فالرجال أكثر سعادة وأكثر حكمة، فإما أنهم تنبأوا بمساوئ الارتباط الأبدي الذي إذا قام على المساواة فإنه يحمل في تلك المساواة نفسها بنور الشقاق الذي يتجدد كل يوم، وإما أنهم بكل بساطة استخدموا قانون الأقوى، وعرفوا كيف يتغلبون على مصاعب الزواج بوسيلة ستجدها النساء الأوربيات بلا شك أكثر سوءاً من السوء نفسه".

وللأسف أن كورانسيه هنا قد أغفل أثر الجانب الديني الذي يحكم حياة المسلمين وينظم العلاقات الأسرية، وغاب عنه أن ما لدى المسلمين من حكمة وصلاح في هذا الأمر لا يعود إلى ذكاء واضعي الأنظمة والقوانين البشرية، وإنما هو من حكمة الشارع وهو الخالق الخبير بما يصلح للمخلوقين، وأما ما يشوب العلاقات الأسرية والزوجية من أخطاء وميل أحياناً؛ فإنه من ممارسات ينقصها العدل والحكمة، فلا ينبغي أن تحسب تلك الأخطاء على الشريعة الإلهية!

ولذلك فلا غرو أن يشطح كورانسيه وأمثاله في تفسيرهم للظواهر السلوكية لأهل المشرق فينسبونها إلى العوامل المناخية، إذ يقول بهذا الصدد: "ففي بلد تؤجج فيه حرارة الجو الغرائز، وتغيب فيه الأفكار المتحررة، والتعليم المتقن، يصبح من الصعب جداً السيطرة على تلك الغرائز المتأججة". (وللحديث صلة).



٣٠- أهل الشرق العربي في عيون فرنسية!

(٣-٣)*

والآن ننتقل إلى ما ذكره كورانسيه بإسهاب في وصف كسل الشرقيين ومعاقرتهم للخمول، حيث لم يعتد على رؤية الأوربيين يقضون أوقات الفراغ الطويلة على مقاعد المقاهي، أو ساحات البيوت يتعاقرون الشيشة والدخان والقهوة والشاي، ويلعبون النرد أو الشطرنج لساعات طويلة.. ونقتطف من ذلك عباراته التالية: ".. إن مقارنة شعوب الغرب بالشرقيين تظهر لنا بجلاء ما يعتري حياة هؤلاء من كسل وخمول.. وكم بدا الفرنسيون عندما وصلوا إلى مصر غريبي الأطوار في نظر أولئك الذين هم على الدوام جلوس وهادئون، كانت تعتريهم الدهشة دائماً لرؤية الفرنسيين يجوبون شوارع القاهرة مسرعين.." .. ويقول أيضاً: ".. إن خمول الشرقيين المفرط ينزع من النفس بعضاً من طاقتها، يحرمها من ذلك النشاط الذي لا يُقدر

---

* الثلاثاء ٢٦ رجب ١٤٢٩هـ (٢٩/٧/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٠٨٨).

بثمن، الذي يجعل المرء في الأوقات الصعبة يحسن التمييز ويتخذ أفضل القرارات، ولكنه - أي الخمول - يمنحه ميزة أخرى، ربما تكون أكثر نفعاً؛ إنها الانقياد المطلق!".

وفي هذا الصدد يخلط المؤلف كثيراً بين التوكل والتواكل، ويربط بين المناخ والدين، ومن ذلك قوله: "إن التواكل يتناسب مع الكسل الذي هو واحدة من تبعات المناخ؛ لكنه أيضاً مرتبط كل الارتباط مباشرة بالتربية الدينية؛ لأن الألمعية والتفكير صفتان لا جدوى لهما لدى شعب يرى في كل الأحداث مصيراً مكتوباً"..

لكن الأكثر إثارة قوله: "... ينبغي ألا تعترينا الدهشة إذا وجدنا الشرقيين الذين نسوا الماضي، ولا يهتمون بالمستقبل إلاّ قليلاً، يقتصرون في حياتهم كلها على الاهتمام بالمتع الآنية".

ويربط بين ذلك وبين الجهل والعلم فيقول: "...لذلك تجدهم يعمهون في جهل مطلق، لا يهتمون بالعلم، وهم في كل الأشياء تقريباً يعتقدون أن الرغبة في التعلُّم فضول ممقوت، أو أنه على الأقل غير مفيد".

ويضيف كورانسيه أيضاً وهو يتحدث عن طبيعة أهل المشرق العربي: "... وينتج عن احتقارهم المعارف المكتسبة أن طموحاتهم ينبغي أن تتركز على شيئين، الثروة والسلطة.. وباعتبار أن الثروة تقود غالباً إلى المناصب الرفيعة، فإنها غالباً الوسيلة المؤكدة للحفاظ عليها، ومن هنا تأتي صفة الجشع التي نستطيع في بعض المواقف أن نلومهم عليها".

وختاماً؛ أود التنبيه إلى أن كورانسيه ينقد المجتمع الشرقي قبل مائتي سنة، أي عندما كان ذلك المجتمع كما يقول فعلاً، فقد كانت الوظائف في ولايات الدولة العثمانية تُباع وتُشترى، وكان الولاة والمحافظون يمارسون أشد أنواع الحكم الاستبدادي، وكان التعليم في أقصى غايات الضعف، ولو أتيحت الفرصة لذلك الكاتب أن يعيش بين العرب اليوم ويرى الأعداد الكبيرة من الأطباء والمهندسين والمفكرين، لما وسعه إلاّ أن يعيد النظر في بعض ما كتبه!

لكن المصيبة لو أنه اطلع على وضع الكثير من شبابنا الذين يمارسون النوم في وجه النهار، ويساهرون الليل في جلسات سمر بلا ثمر

على أرصفة الشوارع، أو في مقاهي الجراك والمعسل، أو لو رأى كيف وصل الكسل ببعض شبابنا إلى كيفية الركوب في السيارة بارتخاء كامل وأرجل مرفوعة فوق المقاعد أو على نافذة السيارة.. ولو رأى كهولنا الذين يتحلقون على ورق البلوت إلى منتصف الليل، ولو اطلع على حال الكثير من ربات البيوت في بلادنا اليوم، اللواتي زادهن الاعتماد على الشغالات، فراغاً وترهلاً.. فهل نلومه على ما يقول؟



٣١- الحج إلى إسرائيل من أجل الرئاسة الأمريكية![*]

قبل نهاية رئاسة كل زعيم أمريكي وبداية رئاسة زعيم آخر، صار من المتعارف عليه أن يقوم كل منهما بعدد من الإجراءات والأعمال المهمة، فالرئيس المغادر لا بد أن يقوم في آخر أيامه بتزويد الخزينة الإسرائيلية بأكبر قدر ممكن من المساعدات المالية على حساب الخزانة الأمريكية، ليثبت صدق ولائه لإسرائيل، وحرصه على مستقبلها وهو يترجل من عرش الرئاسة، وهذه الأموال المحوّلة للدولة العبرية تأتي تحت مبررات تعلن سنوياً؛ منها تعويض إسرائيل عن خسائرها في محاربة الإرهاب، الذي يقصد به المقاومة الفلسطينية بالطبع، ومنها ما هو تعويض لخسائرها من جراء الحروب الخارجية مثل حربها مع لبنان أو هجماتها المنفذة أو المتوقعة على بعض المواقع المعادية في العراق أو سوريا أو لبنان، أو غيرها، ومنها ما هو لمساعدة الدولة العبرية المدللة لمواجهة التضخم المالي العالمي، ومنها ما هو لتعويض إسرائيل مقابل دخولها في

* الاثنين ١ رمضان ١٤٢٩هـ (١/٩/٢٠٠٨م)، العدد (١٣١٢٢).

مفاوضات السلام، لكن الأهم من ذلك هو الحرص على تزويدها بأحدث الأسلحة المتطورة لدعم تفوقها على جيرانها الذين سيقذفونها في البحر الأبيض المتوسط!!

كما أن الرئيس المرشح لزعامة أمريكا يلزمه أن يقوم بزيارة سياسية لإسرائيل، وهي الزيارة التي قد تحولت إلى عرف رئاسي، بل ربما تحولت إلى فريضة حج لا يجوز في العرف الصهيوني الأمريكي أن يصل رئيس أمريكي جديد إلى الرئاسة ما لم يكن قد قام بزيارة إسرائيل، وطاف حول المبكى، وسعى حول محرقة الهولوكست المزعومة، ولبس الطاقية اليهودية، وما يتبع ذلك من ذرف الدموع على ما تعرض له اليهود من الظلم، وإعلان صداقته ومناصرته لدولة إسرائيل، وإعلان القدس عاصمة لإسرائيل، والتأكيد على التزام أمريكا بتفوق إسرائيل، والتأكيد على حق إسرائيل باتخاذ ما تراه مناسباً من أجل الدفاع عن نفسها، والتحذير من أعدائها الهمجيين مثل إيران وحماس وحزب الله، والعرب عموماً!

إن هذه الإجراءات قد أصبحت ممارسة معروفة لا يتقاعس عن

أدائها أي من الرؤساء الأمريكيين المعاصرين، بل إنها تتطور من عام إلى آخر لتصبح أكثر وضوحاً ورسوخاً.. أما نصيب أصدقاء أمريكا العرب فيأتي على هامش تلك الواجبات التي تؤدى لإسرائيل، فالمرشح الجديد للرئاسة الأمريكية يسمح له في إسرائيل أن يوجه للعرب كلاماً طيباً بقدر ما يحقق له كسب أصواتهم رغم قلة تأثيرها مقارنة بأصوات اليهود، فلا ينسى أن يحثهم على الاستمرار في عملية البحث عن السلام برعاية أمريكية، وأن يتعاونوا مع الإسرائيليين في هذا المجال، ويتمنى على الطرفين أن يسيرا حثيثاً حول التطبيع، ولا ينسى أن يؤكد للعرب في كل عام أنه متفائل بحل قضية فلسطين قبل نهاية العام، وقبل نهاية المدة الرئاسية!!

وإضافة إلى ذلك فإن الرئيس يسمح له في حدود معروفة ومتفق عليها أن ينتقد الصديقة إسرائيل نقداً غير مبَرِّح لا يتجاوز الحنجرة؛ كأن يقول: "إن الاستمرار في بناء المستوطنات لا يساعد على حل القضية، أو أن يقول: إن أمريكا لا تتفق مع إسرائيل حول بناء الجدار العازل، أو حول بناء المستوطنات!".

وقد يتشجع فيقول: "إن أمريكا تعارض الإفراط في استخدام القوة الذي يمارسه الجيش الإسرائيلي أحياناً في قمع الشبان الفلسطينيين العُزل!!".

على هذه الأسطوانة المشروخة يتكرر المشهد مع كل فترة رئاسية جديدة، وينام العرب على هذا الحلم مع قدوم كل رئيس جديد، ويستيقظون على الوهم مع مغادرة كل رئيس، وتجني إسرائيل العنب، ويحصد العرب الحصرم!



٣٢- متى نتوقف عن نشر الأعمار الوهمية؟*

مع أنني سبق أن تحدثت عن هذا الموضوع وحاولت التنبيه إلى أن ما ينشر في وسائل إعلامنا بخصوص أخبار المعمرين لدينا ينطوي على معلومات تقوم على المبالغة الزائدة، ويقوم على أرقام وهمية لأعمار بعض الرجال والنساء في مجتمعنا.

وإذا كانت بعض وسائل الإعلام تنشر ذلك من باب البحث عن الإثارة، أو كان بعض مراسلي الصحف المبتدئين لا يدركون أن ما قيل لهم من معلومات بهذا الشأن بعيد عن الحقيقة؛ فقد يكون لهم بعض العذر، لكن الأسوأ أن شريحة كبيرة من بيننا لا تزال تؤمن بصحة تلك الأخبار، وتعتقد أن لدينا معمرين قد يبلغون المئة والخمسين أو ينقصون أو يزيدون عنها قليلاً.

أعيد هذا القول بعد أن اطلعت على ما نشر مؤخراً عن وفاة معمر في الأفلاج عن ١٤٣ عاماً، وهذا يعني أنه من مواليد ١٢٨٦هـ. كما

* السبت ٦ رمضان ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٩/٦م)، العدد (١٣١٢٧).

جاء في مضامين الخبر ما نصه: "وكان رحمه الله قد شارك في موقعة البكيرية وجازان".. وعلى هذا الأساس يكون قد شارك في موقعة البكيرية التي حدثت سنة ١٣٢٢هـ وعمره ٣٦ عاما!!

وليس المراد هنا الطعن في مصداقية ذلك الرجل المعمر - رحمه الله- ولا في صحة معلوماته، وإنما المراد التنبيه إلى حقيقة يجب ألاّ تغيب عنا، وهي أن مثل هذه الأرقام التقديرية لأعمار المعمرين من آبائنا وأجدادنا تقديرات مبالغ فيها، ومعلومات قد تسيء إلى مصداقيتنا وتجعلنا أضحوكة للشعوب المتقدمة التي تبني معلوماتها على الحقائق المحضة، وتنظر إلى العرب على أنهم لا زالوا يعيشون في عصر حكايات ألف ليلة وليلة؛ وأنهم يميلون إلى الأساطير والخزعبلات ويطربون للمفاخرات الوهمية أكثر من ميلهم للحقائق العلمية، وأن ذلك أحد مظاهر التخلف الذي يعيشون فيه وينعمون به!

والواقع العلمي والتاريخي البعيد عن مثل هذه الأخبار الصحفية العابرة، يفيدنا أنه لم يصل أحد من سكان هذه المعمورة إلى سن ١١٨ سنة خلال القرنين الماضيين على الأقل، حسب سجلات

المواليد والوفيات في الدول المتقدمة التي تتميز سجلاتها بالدقة والمصداقية وتحظى باعتراف المؤسسات العالمية ذات العلاقة. كما ينبغي إعادة التذكير بأن معدل متوسط الأعمار في تلك الدول يفوق متوسط الأعمار لدينا بفارق كبير، ومع ذلك نزعم أن لدينا من يصل إلى هذه الأعمار، في حين أن أعلى رقم مسجل في موسوعة جينس العالمية للأرقام القياسية هو ١١٦ سنة لأكبر معمرة في العالم توفيت قبل بضع سنوات، وكانت عندما توفيت فاقدة لجميع قواها الجسمية والفكرية!

إنها دعوة صادقة أكررها إلى المسؤولين في وسائل إعلامنا إلى التنبه إلى هذه المسألة، والتأكد من صحة المعلومات المتعلقة بالأعمار قبل نشرها، والاستغناء عن المعلومات غير الواقعية التي تغرر في بسطائنا، وتسيء إلى معمرينا، وتجعلهم عرضة للاتهام بالكذب!



٣٣- راكان رئيس مطير من شمر.. آخر مهازل العبث بتراثنا!*

ونحن نتابع الجدل الدائر هذه الأيام حول عدد من المسلسلات البدوية التي تحول فيها التاريخ المحلي البدوي إلى سلعة رائجة في سوق الفضائيات التي تحاول كسب المشاهدين غير آبهة بالمصداقية التاريخية، وغير حاسبة حساباً لما يترتب على تلك الأعمال من إثارة النعرات القبلية والطائفية.. أقول في هذه الأثناء تنشط دور النشر التجارية في العبث بتاريخنا وأدبنا المحلي من خلال استكتاب كتاب بعيدين عن مجتمعنا وغير مؤهلين للكتابة في هذا المجال!!

ومن ذلك الكتاب الذي أسماه مؤلفه: (الشعر البدوي في الجزيرة العربية).. الصادر في هذه الأيام حيث تظهر سنة الطبع (١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م) عن إحدى دور النشر بلبنان، فهذا الكتاب مليء بالمهازل والعبارات غير المسؤولة التي لا يكتبها أقل الناس معرفة في بلادنا..

---

* الجمعة ٤ شوال ١٤٢٩هـ (٣/١٠/٢٠٠٨م)، العدد (١٣١٤٥).

وإليكم أمثلة مما جاء في ذلك الكتاب:

- في ص (١١) قال ما نصه: "أبو تايه؛ أحد رؤساء بني صخر ...".
وهذه معلومة خاطئة، فأبو تايه ليس من بني صخر، بل هو شيخ الحويطات، وليته اكتفى بهذا الخطأ، لكنه استرسل في معلومات غير دقيقة عن ذلك الشيخ وقبيلته..

- في ص(١٩) وما بعدها يتطرق إلى معركة الصريف، بمعلومات غير محققة، وأشعار محرفة ومصحَّفة من اللغة النجدية إلى اللغة الشامية، ومن ذلك قوله على سبيل المثال:

عزي لكلب كلما كرب الليل
عليه صارت الدكايج جلايل
العين جنه بموكدها يدرج الميل
عبت تطيح النوم من فور جايل

- أما قصيدة بداح العنقري ويسميه (العنكري) في ص(٢٧) وما بعدها، فيوردها بشكل مضحك، ونختار من أبياته هذه النماذج على سبيل المثال:

أنشدج بالله يا ضنه المستمينة

أيات هوش إخوانكم والفلاليح

الطيب ما هو بس للظاعنينة

مجسم على روس العيال المفاليح

بيت الشعر واللي جعد له بطينه

كل عطاه الله من هبة الريح

- وفي ص(٥٧) وما بعدها يورد قصيدة الشاعر محمد القاضي في القهوة، ويضع لها قصة هزلية تتمثل في أن القاضي عشق بنت محمد ابن رشيد أمير حائل، مع أن كل أهل نجد يعرفون أن الأمير محمد بن رشيد ليس له بنات ولا أولاد، وفوق ذلك كله يقلب قافية القصيدة من القاف إلى الكاف، ويقلب حروف القاف إلى حروف الجيم، فيصبح البيت على النحو الآتي:

جيل جما الدبوا ليا سيج ونساك

مع صحصحٍ عانك شفا كل طاروك

- اما في ص(٧١) فيورد قصة عقاب وحجاب أبناء سعدون العواجي، ويجعلهما من فرسان قبيلة شمر، ويورد قصيدة سعدون العواجي في رثائهما مصحفة مكسرة.
- أما أكثر النصوص هزلية فهو ما أورده في ص (٧٩) وما بعدها، عن قصة الشيخ راكان بن حثلين زعيم قبيلة العجمان، حيث استهل القصة بما يلي: "كان راكان بن حثلين رئيساً لعشائر المطير من شمر، وذات مرة هاجم بعشائره الحجيج.. وسلب ممتلكاتهم.. لكنه علم أن بينهم والدة السلطان، فذعر لهذا الأمر.. وقام بتكريمها ...إلخ".
- وفي ص (٨٣) يورد قصيدة أبو زويد التي منها هذا البيت:

الحمُّـرَة تــدرك معوشــة عيالــه

وإلاّ الرجل يبغى منه بعض الأحوال

وينسبها إلى بركات الشريف.

- وفي ص (١٣٣) يورد قصيدة راكان بن حثلين المشهورة التي مطلعها:

ياما حلا الفنجال مع سيحة البال

في مجلس ما فيه نفس ثقيلة

ولكنه ينسبها إلى: (الميع من عشيرة العمارات - عنزة)، ويجعل البيت السابق هكذا:

وياما حلا الفنجال مع سوحة البال

بي مجلس مابو نفوسٍ ثجيلة

ثم يستمر المؤلف في إيراد قصص وأشعار نجدية منقولة بجهل وتحريف ومغالطات عن دواوين الشعر النجدي، دون ذكر المصادر، ودون نقل صحيح!

فهل من سبيل لوقف هذا الهراء، وكبح المتاجرين بتاريخنا المحلي والعابثين به؟



٣٤- هل انهار حلم دولة اليهود؟*

عندما تم إعلان قيام دولة إسرائيل وما نتج عنه من احتلال فلسطين وبعض الأراضي العربية المحيطة بها في عام ١٩٤٨م (١٣٦٨هـ)، وما تلاه من احتلال فلسطين وأجزاء من الأراضي العربية الأخرى عام ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، وفي أوج النشوة الصهيونية بالانتصار والقوة، لم يتحرج زعماء إسرائيل من الجهر بالكشف عن المخطط الصهيوني الذي رسمه زعماء الصهيونية ومساندوها من ساسة الغرب المسيحي القاضي بإقامة وطن قومي لليهود يمتد من النيل إلى الفرات.

وقد ساعد على ترسيخ ذلك الحلم في أذهان الشعب اليهودي المدعوم سياسياً وعسكرياً من الدول العظمى التفوق الكاسح لإسرائيل في معاركها الأولى عامي ١٩٤٨م و١٩٦٧م، والنكسات المتوالية على أعدائهم العرب، حتى ظن أولئك القادة الإسرائيليون أن تحقيق ذلك

* الثلاثاء ١٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/١١/٨م)، العدد (١٣١٩٠).

الهدف قد أصبح قاب قوسين أو أدنى، وأن الوصول إليه مسألة وقت..
وتحت تأثير هذا الاعتقاد واصل زعماء الدولة العبرية ليلهم بنهارهم من أجل إضعاف جيرانهم وتقوية إسرائيل عسكرياً واقتصادياً وصناعياً، وحشدوا لذلك كل ما استطاعوه من الدعم السياسي والإعلامي والمخابراتي، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً باهراً لا يمكن إنكاره.

غير أن ذلك الحلم غير المشروع المبني على أسس باطلة ودعاوى مزيفة واغتصاب حقوق شعب آخر ظلماً وعدواناً، سرعان ما بدأ يتلاشى تحت وطأة المقاومة المشروعة للشعوب المعتدى عليها، فلم يتحقق لإسرائيل ما كانت تصبو إليه من تركيع الشعب الفلسطيني، وقهر الشعوب العربية، رغم كل ما حققته إسرائيل من انتصارات وما حصلت عليه من دعم، وبالرغم من انحياز أقوى دول العالم إلى جانبها.
وهذا شيء طبيعي في سنة الحياة الكونية لأن الباطل باطل، والحق حق!!

وبعد أن أدركت إسرائيل هذه الحقيقة، واكتشفت أن الحق كالسيل الجارف له اتجاه واحد فقط، وبعد أن عجزت عن تحقيق أهدافها مع كل ما قامت به من مغامرات وحروب واختراقات ومماطلات، اضطر بعض قادتها لإبداء ما يخالجهم من الإحباط، وتبادلوا تلك المشاعر فيما بينهم، معبرين عن صعوبة الوصول إلى تلك الأهداف التي رسمها أسلافهم.. غير أن الجديد في الموضوع أن يقوم رئيس وزراء إسرائيلي يعد من صقور الدولة الصهيونية بعد نصف قرن من قيام دولته بإعلان ذلك على الملأ، عبر صحيفة إسرائيل الرسمية (يدعوت أحرونوت) قائلاً: "لدينا فرصة محدودة بالزمن للقيام بخطوة تاريخية مع الفلسطينيين والسوريين.. إننا ملزمون بأخذ القرار الذي كنا نرفض النظر إليه على مدى الأربعين سنة الماضية" انتهى كلامه.

بعد ذلك بأسابيع صرح كل من إيهود باراك وشيمون بيريز بأنه يمكن أن تقوم إسرائيل بمراجعة موقفها من المبادرة العربية لحل

القضية الفلسطينية، وأخذها على محمل الجد، وهي التي أصمت عنها آذانها منذ طرحها في قمة بيروت عام ٢٠٠٢م.

أقول: ليس مستغرباً أن يأتي هذا الإذعان الإسرائيلي في هذا الوقت بالذات بعد أن ثبت لإسرائيل أن عنصر القوة العسكرية وحده لا يكفي لإضاعة الحقوق المشروعة لشعوب أخرى. ثم إنه يأتي في هذا الوقت بالذات الذي بدأت فيه تلوح في الأفق ملامح فشل التجربة الأمريكية في أفغانستان والعراق وعدم صحة نظرية المخططين الصهاينة الذين كانوا يعتقدون أن تغيير الأنظمة في الدول المعادية لإسرائيل سيحقق لها أهدافها في بناء دولة إسرائيل كما تريد!

لكن أكثر ما نخشاه أن تكون هذه التصريحات لعبة أخرى لخداع العرب وتضليلهم لعقود أخرى، بعد أن انكشف زيف الألاعيب السابقة مثل لعبة: خطة الطريق، واللجنة الرباعية، وخريف بوش، ومؤتمر انابولس، وغيرها. فهل يتعلم الزعماء العرب من التجارب السابقة، وهل يتنبهون إلى طبيعة المفاوض الإسرائيلي المراوغ، قبل

أن يخدعوا بمبادرات ملعوبة، وحيل جديدة الهدف منها كسب المزيد من الوقت لتكريس التهويد واستكمال بناء المشروعات الاستيطانية المخطط لها؟!!



٣٥- السلاح الغربي والكيل بمكيالين!*

من عجائب الحضارة المعاصرة أن الدول المتقدمة التي بلغت شأواً بعيداً في التطور العلمي المسخر لخدمة شعوبها، وتحسين ظروف الحياة لمواطنيها، وتمكنت من تقديم أرقى الخدمات المعيشية والصحية والعدالة الاجتماعية لهم مما لم يسبق له مثيل في حياة البشرية، إلاّ أنها وبذات المستوى، من التقدم قد طورت أخطر الأسلحة وأشدها فتكاً لتدمير الحياة البشرية!

ومن عجائب هذه الحضارة التي تدعي أنها تسعى إلى نشر الحياة الكريمة، وتزعم أنها تحاول تحرير الإنسان من الاستبداد والظلم الذي تعرض له عبر تاريخه الطويل على يد أخيه الإنسان، إلاّ أن هذه الدول المتفوقة بدساتيرها وتقنياتها تمارس التمييز والظلم والاستبداد بأسوأ أشكاله من خلال

* السبت ١ ذو الحجة ١٤٢٩هـ (٢٩/١١/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٢١١).

مخططاتها واستخباراتها حول العالم، فتجيز لنفسها ولمن يدور في فلكها أن يحوز التقنية بلا قيود، وأن يطور أسلحته التدميرية بلا حدود، بينما تظل عينها ترقب بقية دول المعمورة، تحت مبررات اتضح للعالم عدم مصداقيتها، مثل دعوى المحافظة على السلام واستقرار العالم، والخوف من التلوث البيئي، والقول بعدم أهلية بعض الحكومات والشعوب لحيازة الأسلحة المدمرة!

ولعله من المناسب في هذا الصدد التذكير بتطور صناعة السلاح النووي خلال الخمسين سنة الماضية، حيث إنه من المعروف أن الولايات المتحدة قد أنتجت أول قنبلة نووية انشطارية عندما صنعت في عام ١٩٤٥م ثلاث قنابل نووية انشطارية قوة كل منها تتراوح ما بين ١٥ و٢١ طناً، ومنها قنبلة هيروشيما ١٥ طناً، ونجازاكي ٢١ طناً. تلتها بعد ذلك روسيا عام ١٩٤٩م بقنبلة مماثلة زنتها ٢٢ طناً، ثم لحقت بريطانيا الركب عام ١٩٥٢م بإنتاج قنبلة نووية بقوة ٢٥ طناً، ثم لحقت

فرنسا عام ١٩٦٠م وأنتجت قنبلة نووية انشطارية، ثم دخلت الصين عالم التدمير عام ١٩٦٤م بإنتاج قنبلة انشطارية بقوة ٢٢ طناً، ثم الهند عام ١٩٧٤م التي أنتجت قنبلة انشطارية بقوة ١٢ طناً، ثم لحقت باكستان عام ١٩٩٨م بإنتاج قنبلة انشطارية بقوة ٩ أطنان.

ولم يتوقف ذلك السباق المحموم نحو التدمير عند هذا الحد، بل إن كل دولة واصلت ركضها نحو التفوق التدميري، فأصبحت القنبلة الانشطارية ذات الواحدة والعشرين طناً التي مسحت نجازاكي من الخريطة تعد من أسلحة الزمن القديم، فأعلنت أمريكا عام ١٩٥٢م عن إنتاج قنبلة تيرمونووية تفوق قوتها قوة قنبلة نجازاكي بآلاف المرات، ثم أعلنت روسيا عام ١٩٥٣م عن إنتاج قنبلة اندماجية بقوة ٤٠٠ طن، ثم تيرمونووية بقوة ١٦,٠٠٠ طن عام ١٩٥٥م، ثم أخرى عام ١٩٦١م بقوة ٥٠,٠٠٠ طن، وتعد الأكبر في التاريخ النووي. ثم أعلنت بريطانيا عام ١٩٥٧م عن

إنتاج قنبلة تيرمونووية، ثم أعلنت الصين في عام ١٩٦٧م عن إنتاج قنبلة تيرمونووية بقوة ٣,٣٠٠ طن، ثم أعلنت فرنسا عن إنتاج قنبلة تيرمونووية بقوة ٢,٦٠٠ طن عام ١٩٦٨م، ولا زال الركض مستمراً!

وفي ظل هذا التسابق المحموم كانت العيون مفتوحة على بقية دول العالم المغلوبة على أمرها حتى لا تحصل على التقنية النووية بأي شكل من الأشكال، ولهذا اتفقت الدول النووية على تكوين الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وتم الطلب من دول العالم التوقيع على اتفاقية خاصة بالحد من انتشار الأسلحة النووية لإحكام الرقابة على الدول غير المرضي عنها، وأصبح التشهير بأي دولة تحاول استراق التقنية ممارسة سائدة، بينما سمح لإسرائيل بأن تحوز ما تراه مناسباً لتفوقها بالطرق المشروعة وغير المشروعة، وإعطائها المبررات اللازمة، وفضلاً عن ذلك ساعد الإعلام الغربي على التكتم على أسرارها النووية، وعدم الإنكار عليها فيما يتعلق

ببنــاء ترســانة تدميريــة تــشمل الــسلاح النــووي والجرثــومي والبيولوجي بشتى أنواعه، لأنها دولة مسالمة وواعية، ولأنها مـن محاور الخير، أما الدول المعادية لها فإنها من محاور الشر في نظر العيون الزرقاء!



٣٦- ما أحلى الجوف!*

أقول: (ما أحلى الجوف) بعد زيارة استغرقت ثلاثة أيام قضيتها برفقة نخبة من الفضلاء من المسؤولين وكبار المدعوين لندوة: (الأزمة المالية العالمية، وتداعياتها المحلية) التي أقامها منتدى الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للدراسات السعودية.. ففي تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ١٤٢٩/١١/٢٨هـ الموافق ٢٠٠٨/١١/٢٦م وصل وفد المشاركين والمدعوين للندوة إلى مطار الجوف، وكان الجو بفضل الله جميلاً جداً، وزرقة السماء الصافية تعانق رمال المنطقة ومرتفعاتها وقورها[1] الشامخة التي تنبيك عوامل التعرية على جنباتها بعراقة التاريخ، وتحكي أسرار الحضارات التي عاشتها المنطقة منذ سبعة آلاف سنة على الأقل. وبعد وصولنا إلى أرض المطار انتقلنا مباشرة إلى مركز أبحاث الإبل والمراعي

* الأحد ٦ صفر ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٢/١م)، العدد (١٣٢٧٥).

(١) القور: جمع قارة، وهي مرتفع جبلي ذو حواف شديدة الإنحدار، وإن كان ارتفاعه أقل من ارتفاع الجبال غالباً.

بالجوف، وهناك شاهدنا بعض نشاطات هذا المركز في مجال تنمية الثروات الحيوانية والنباتية الصحراوية، وتحسين إنتاجيتها والمحافظة عليها، فرأينا كيف أمكن تحسين نسل الإبل وتطويعها لتتعامل مع آلات الحلب الآلية الحديثة. كما رأينا تجارب العاملين في المركز لاستنبات الأشجار الصحراوية الطبيعية التي كاد معظمها أن ينقرض بسبب الرعي الجائر والاحتطاب غير المنظم.. فاستزرعت أنواع كثيرة مثل الغضا والأرطَى، والرمث، والحاذ، والعجرم، والعاذر، وغيرها.

بعد ذلك توجهنا إلى المقر المعد لإقامة الضيوف وهو فندق النزل بسكاكا، ذلك الفندق أو المنتجع المستوحى من تاريخنا وتراثنا الأصيل، تزين بهوه عذوق بلح حلوة الجوف بلونها الأحمر القاني وطعمها المميز.. وقبيل المغرب قام أعضاء الوفد بزيارة مقر مؤسسة الأمير عبدالرحمن السديري الخيرية على بعد خطوات من فندق النزل، وتجولوا في جنبات المركز، وتوقفوا عند المكتبة العامة التي تعد من أقدم المكتبات العامة في المملكة العربية

السعودية، إن لم تكن أقدمها، إذ أنشأها الراحل عام ١٣٨٣هـ لخدمة أبناء المنطقة.

وبعد صلاة المغرب انتقل الجميع إلى قاعة المحاضرات الثقافية بالمؤسسة لتبدأ حفلة تكريم ضيف المنتدى وهو سعادة د. فيصل بن صفوق البشير في حفل أنيق وشيق ومرتب. وفي صباح يوم الخميس افتتحت فعاليات المنتدى التي قدم فيها عدد من الأوراق القيمة.. وبعد صلاة الظهر تحرك الجميع بالحافلات المخصصة لتنقلات المدعوين، وكانت الوجهة إلى دومة الجندل لزيارة آثار الدومة العريقة، ولتناول طعام الغداء على حافة بحيرة دومة الجندل بدعوة كريمة من سعادة الأستاذ أحمد بن عبدالله آل الشيخ وكيل إمارة المنطقة، ثم تحركت حافلات الوفد بعد ذلك في طريقها إلى منطقة البسيطاء الزراعية، مع التوقف بعد المغرب في منطقة برية في جلسة على رمال الغضا الجميلة في بيت من الشعر المزين بمفارش الصوف المصنوع محلياً بألوانه الجذابة، تتوسطه نار الغضا والسمر.. وقد تخلل تلك الاستراحة لمحات وفقرات من الفلكلور المحلي للمنطقة والعرضات

الشعبية الجميلة.. وبعدها غادر الضيوف المكان متوجهين إلى مقر الشركة الوطنية في منطقة البسيطاء للعشاء والمبيت هناك، حيث أمضوا ليلة جميلة في ضيافة الشركة، ثم استيقظوا في الصباح لنتناول طعام الإفطار باكراً استعداداً للجولة الميدانية التي اطلع فيها الضيوف على الكثير من نشاطات الشركة الوطنية في المجال الزراعي والغذائي ضمن مشاريعها العملاقة لتحقيق الأمن الغذائي، وقام الوفد بجولة على مشاريع زراعة الزيتون، ومشاريع زراعة الفواكه، ثم مشاريع تطوير الإنتاج الحيواني، وهي مشاريع جبارة وطموحة تقوم على أحدث الأساليب والأسس العلمية، يديرها شباب سعوديون متحمسون لعملهم وعلى رأسهم سعادة الأستاذ المهندس إبراهيم أبو عباة.

وبعد صلاة الجمعة مباشرة انتقل الجميع إلى مقر شركة الجوف الزراعية حيث قام أعضاء الوفد بجولة سريعة على بعض المشاريع الزراعية، ثم الانتقال إلى المقر المعد لتناول طعام الغداء في ضيافة الشركة التي استقبل مسؤولوها أعضاء الوفد بكل حفاوة

وتكريم.. وبعد الغداء غادر الضيوف المنطقة متوجهين إلى مطار الجوف في رحلة استغرقت نحو ساعتين ونصف استغلها الأعضاء في نقاشات علمية وفكرية حادة؛ جعلتهم يحولون ظهور الحافلات إلى قاعات ثقافية، مما ساعد في الاستمتاع بالرحلة وعدم الإحساس بالمسافة، ثم استقلوا الطائرة عائدين إلى الرياض ولسان حالهم يقول: ما أحلى الجوف!



٣٧- جزرة الغرب من ٤٨ إلى ٢٠٠٩م!*

تتوالى الهزائم على أمتنا الإسلامية والعربية، وتأتي النكبات متلاحقة والنكسات متتابعة، فلا تصحو الأمة من هول نكبة حتى تستلم الأخرى، تجرع العرب مرارة معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٥م، التي تم بموجبها تقاسم الدول العربية من قبل القوى العظمى حينئذ وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا. ثم أسقطت الدولة العثمانية الإسلامية بهزيمتها في الحرب العالمية الأولى، ثم أعلن قيام دولة اليهود عام ١٩٤٨م على فلسطين التي اقتُطع نصفها وشُرّد شعبها، وأرعدنا وأزبدنا، وتبارينا في الخطب والمظاهرات والشعارات التي لم يقطع ضجيجها إلاّ هدير الطائرات الإسرائيلية في حرب ١٩٦٧م واستيلاء اليهود على النصف المتبقي من فلسطين ومعها مثلها من بلدان عربية أخرى.

ثم اجتاحت إسرائيل لبنان من جنوبه إلى شماله، وقامت بمذابح

* الجمعة ٢ ربيع الأول ١٤٣٠هـ (٢٧/٢/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٣٠١).

صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م، ثم دمرت إسرائيل المفاعل العراقي في بغداد، ثم قامت أمريكا بقصف ليبيا بطائراتها، ثم احتلت العراق عام ٢٠٠٣م ودمرت حضارته تدميراً متعمداً أمام عيون العالم المتحضر، وجعجع العرب بلا طحن، وطحنت إسرائيل بلا جعجعة!

وسرنا على خارطة الطريق التي رسمها لنا بوش، ولما أدركنا التعب والظمأ أوردنا (مبادرة الخريف)، وسقانا من (مؤتمر أنابولس) لنعتاض عن الماء بالسراب لبعض الوقت، أو ريثما تكمل إسرائيل بعض خططها وبرامجها المرسومة. وفي الوقت الذي كنا نسير فيه على (طريق خارطة بوش) كان بلير يمنينا بابتسامته المشهورة بما ستتوصل إليه لجنته الرباعية من حلول عادلة للقضية الفلسطينية. ولأن بوش كان حريصاً على إيصالنا لنقطة النهاية من خارطة الطريق قبل أن يترك الرئاسة؛ فقد كان من الضروري أن يخصص العشرين يوماً الأخيرة من رئاسته البالغة ثماني سنوات لنقطة النهاية، وقد كانت مذبحة غزة التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً!

لم يشهد لها مثيلاً؛ لأنها كانت بين دولة غاصبة وشعب مغتصب، وبين دولة مدعومة من القوى العظمى سياسياً وعسكرياً وبين مدينة محاصرة اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً. بين طرف يملك الطائرات والدبابات والقنابل المدمرة وبين شعب لا يملك حتى الكهرباء والماء!

أما بلير وشركاؤه الأوروبيون في (اللجنة الرباعية)؛ فقد أجادوا المماطلة لسنوات عدة، لكنهم عندما بدأت إسرائيل بضرب غزة لم يتأخروا لحظة واحدة في تأكيد مشروعية ما تقوم به إسرائيل حتى وإن استخدمت الأسلحة المحرمة شرعياً، حتى وإن هدمت المدارس والمساجد، حتى وإن ضربت مؤسسات الإغاثة الإنسانية التابعة للأمم المتحدة، حتى وإن ضربت سيارات الإسعاف والمستشفيات الغاصة بالمرضى والمصابين.. أما أهل غزة المحاصرون بعقاب جماعي منذ ثلاث سنوات فلم يحظوا بتعاطف (بلير) و(ميركل) و(ساركوزي) ليس طيلة السنوات الماضية فقط؛ بل حتى وقنابل إسرائيل ودباباتها تشعل

سماء غزة فوق رؤوس الأطفال والنساء بنيران القنابل الفسفورية وشظايا اليورانيوم المخصب!

إن المشكلة ليست في (بوش) و(بلير) و(ساركوزي) و(ميركل)؛ لأن هؤلاء يتصرفون بموجب ولائهم المطلق والمعلن للكيان الصهيوني، ويتعاملون مع الطرفين بما يقتضيه كرههم واحتقارهم للشعوب العربية المتخلفة، وحكامها المتناحرين، وغير الديمقراطيين - في نظرهم - لكن المشكلة تكمن في من يصدق أن هؤلاء يبحثون بجد عن حل لقضية فلسطين بالطريقة التي يتطلع إليها العرب المستضعفون والمستغفلون..

كيف نثق بوعود أمريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا، وهي التي تبرر كل ما تقوم به إسرائيل من اغتصاب الأرض وتهجير أهلها ومماطلتها في تنفيذ القرارات الدولية، والاعتراف بمطالبها، وإنكار مطالب أهل الحق.. كيف نثق بدول تزود إسرائيل بكل ما تحتاجه من السلاح، وتمنع أهل الحق من التزود بالسلاح حتى وإن كان من مخلفات مدافع الحرب العالمية الأولى؟

إلى متى يتعلق الزعماء الفلسطينيون والحكام العرب بالجزرة التي تلوح بها أمريكا أو أوروبا مع أنهم لم يحصلوا إلاّ على العصا والضرب على الرأس من عام ١٩٤٨ إلى ٢٠٠٩م؟



٣٨- مشاريع الإصلاح الغربي.. دروس لا نتعلم منها!*

بالرغم من كثرة التجارب التي مرَّ بها العرب والمسلمون من مشاريع الإصلاح المقدمة من الدول الغربية، إلاّ أن الكثير منهم لم يتعلم الدرس كما ينبغي.. وكثيراً ما يشيع الغرب عن بعض الحكومات أو الحكام في البلدان الإسلامية اتهامات تتعلق بالفساد الإداري أو السياسي أو الاقتصادي، ثم يضغط على ذلك البلد لدفعه نحو الإصلاح، لكن التاريخ أثبت أن الغرب إذا طالب بإصلاح دولة إسلامية، فإنه قد قرر تفكيكها وتدميرها، لأهداف استعمارية أو سياسية أو اقتصادية.. وإذا أردنا مراجعة تجارب الإصلاح الغربية، فعلينا أن نبدأ من الدولة العثمانية ونعرض مشروع إصلاحها الغربي بإيجاز.

---

* الجمعة ٩ ربيع الأول ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٣/٦م)، العدد (١٣٣٠٨).

فعندما شعر الأوربيون بتفوقهم عسكرياً واقتصادياً وأرادوا تحطيم الدولة العثمانية التي كانت تُمثِّل أكبر اتحاد إسلامي، نادوا بحاجتها إلى الإصلاح.. ولينكشف الهدف الحقيقي فقد صرح كبار مخططيهم أن زوال الدولة العثمانية قد بات ضرورياً، ومن ذلك ما قاله اللورد كلارندون وزير خارجية بريطانيا عام ١٨٦٥م: "إن الطريقة الوحيدة لإصلاح أحوال العثمانيين هي بإزالتهم من على سطح الأرض كلية".

وقد أدت الإصلاحات التي قام بها السلطان عبدالعزيز (١٢٧٧ - ١٢٩٣هـ) (١٨٦١ - ١٨٨٦م) - لاسترضاء الغرب - إلى زيادة حنق الدول الأوروبية على الدولة العثمانية، وكان مما قام به محاربته للفساد الإداري وسعيه للعدل والإصلاح، ومحاسبته لكبار المسؤولين الاستبداديين.. كما قام أيضاً بتقوية الجيش وتحديث أسلحته، وبناء القوة البحرية، وهذا ما لا يرضي الدول الأوروبية التي تنادي بالإصلاح ظاهراً، وتسعى في الخفاء إلى زيادة الضعف

والتدهور في الدولة العثمانية.. ولهذا فقد لجأت إلى التخطيط للتخلص من السلطان، فبدأت بنشر الإشاعات ضد السلطان وحكومته، ودست عليه مدحت باشا، وكان من يهود الدونمة روجت له في دول الشرق العربي على أنه القائد الذي سيحمل لواء الإصلاح في الدولة العثمانية، فوصل بذلك إلى أعلى المناصب، وبدأ ينفذ ما تمليه عليه يهوديته، وتمكن من تأليب العامة ضد السلطان ثم عزله، ثم تدبير مقتله عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م)، ثم تدبير عزل أخيه مراد الخامس بعده بثلاثة وتسعين يوماً.

ثم تولى السلطان عبد الحميد الخلافة بعد أخيه مراد في ١١ شعبان ١٢٩٣هـ (٣١- ٨- ١٨٧٦م)، وكان عمره ٣٤ سنة.. وقد واجه السلطان عبد الحميد في بداية حكمه اشتداد نزعة التغريب واستبداد بعض وزرائه وكبار موظفيه الذين تمكنت الأيدي الماسونية الغربية من تجنيدهم لخدمة أهدافها، وفي عهده وصل مدحت باشا إلى رتبة الصدر الأعظم، وأُعلِن الدستور لضمان

الحريات المدنية والبرلمانية، وكان من مقتضيات الدستور - الذي فُرِض على السلطان بضغط من الدول الأوربية عبر عملائها الماسونيين المزروعين في الدولة - اعتبار اللغة العثمانية اللغة الرسمية للدولة، وخلع الدستور صفة العثمنة على الدولة ورعاياها، واستقلال القضاء، وفرض الانتخابات العامة لتمثيل كافة أطياف الشعب!

ومع كل ما تم من إجراءات تطويرية، فقد ازداد الأوربيون حنقاً وعدوانية، فأشعلوا ثورات التمرد الداخلية، وتحريض السكان على الثورات الانفصالية، فعملت كل من النمسا وألمانيا وروسيا وإنجلترا على استخدام تلك الثورات كورقة ضغط على السلطان، فكانت تمد الأقاليم المتمردة بالسلاح والدعم السياسي والعسكري.. كما قامت تلك الدول الأوربية بالضغط على العثمانيين إعلامياً بنشر الشائعات، وتضخيم الأخطاء، واتهام الأتراك بارتكاب المجازر وحروب الإبادة ضد الشعوب الثائرة، كما حدث في الجبل الأسود

والصرب، والبوسنة والهرسك.. وما أظن أن ما حدث في الحجاز عن ذلك ببعيد!

وإذا أخذنا مثالاً آخر، فإن فرنسا قبل أن تعلن الحماية على المغرب باتفاق مع الدول الأوروبية الاستعمارية قد دخلت إلى المغرب من بوابة دعوى حاجة البلاد إلى الإصلاح.. ففي عام ١٩٠٤م اتفقت بريطانيا وفرنسا على تقسيم النفوذ في بلاد المغرب العربي، مع الاحتفاظ لإسبانيا بمناطق النفوذ الخاصة بها، وكان مما نصت عليه الاتفاقية الإنجليزية الفرنسية: تعترف - بريطانيا - بأن حفظ النظام في هذه البلاد (مراكش) يخص فرنسا وحدها، كما أن فرنسا تقدم لمراكش المعونة اللازمة لتحقيق الإصلاحات الإدارية والمالية والعسكرية التي تحتاجها البلاد.. وانطلاقاً من هذه الاتفاقية وبنودها السرية، أعلنت فرنسا بمباركة من الدول العظمى احتلال المغرب!

إن التاريخ قد أثبت لنا أن الدول الاستعمارية تستخدم

موضوع (الإصلاح) مدخلاً للتدخل في حياة الشعوب الأخرى، ومن ثم السيطرة عليها أو تدميرها، ولنا تجربة قريبة فيما حدث في الصومال والعراق وإندونيسيا.. فهل نطلب السلام والإصلاح من الغرب؟



٣٩- فخري باشا.. بطولة طمستها دعاية الحلفاء!*

ينظر كثير من أبناء الجيل المعاصر من أهالي المدينة المنورة إلى القائد فخري باشا نظرة سوداوية، نتيجة لما رسخ في أذهانهم وأذهان آبائهم من معلومات سيئة رسمتها دعاية الثورة العربية الموجهة بخبث ودهاء من بريطانيا وحلفائها المناوئين للدولة العثمانية المسلمة، ومن المعروف أن الاتصال بين شريف الحجاز والإنجليز قد بدأ في أواخر عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م). وتم من خلال تلك الاتصالات التنسيق والتحالف من أجل الحرب على العثمانيين وإخراجهم من البلاد العربية. وعندما أحس العثمانيون بأن شيئاً كبيراً يتم إعداده في الحجاز تم إرسال القائد العسكري عمر فخر الدين المشهور بالقائد فخري باشا في مطلع عام ١٣٣٤هـ، لكنه لم يلبث أن عُيِّن قائداً لمنطقة المدينة بتاريخ ١٧- ٩- ١٣٣٤هـ.

وبالفعل تحركت جيوش التمرد على الدولة العثمانية تحت

---

* الجمعة ١٦ ربيع الأول ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٣/١٣م)، العدد (١٣٣١٥).

شعار الثورة العربية، وهاجمت المدينة المنورة من جميع الجهات، وعلى الرغم من كل تلك الاستعدادات والكثافة العددية فقد تصدى فخري وجنوده ببسالة، وقاتل بكل ضراوة، مما أدى إلى تراجع الجيوش المهاجمة عدة مرات.

وهنا تدخل الإنجليز بقوة، فتولى العميل الإنجليزي الضابط لورانس الإشراف على القوات الشريفية مباشرة، فأعادت الهجوم بصورة أكثر تخطيطاً وتسليحاً ودعماً أوربياً.

في المقابل قام فخري بتعزيز خطوط دفاعاته وعززها بخطوط هاتفية، وضبط الأمن داخل المدينة، وبادر بتخزين المواد الغذائية، كما استفاد من موسم جني التمور، فأمر جنوده بجمعها وضغطها في قوالب صغيرة للمحافظة عليها واستخدامها خلال الحصار. ومن أجل تخفيف الضغط على أهل المدينة ومن أجل الصمود أمام الأشراف قام فخري بمهمة تنبيه أهل المدينة بالرحيل الذي كان في بداية الأمر اختيارياً، ثم أصبح إجبارياً.

شحت المواد الغذائية، وارتفعت الأسعار، وتفشت الأمراض،

وعاشت المدينة ثلاث سنوات شديدة القسوة من شهر شعبان ١٣٣٤هـ وحتى شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٣٧هـ عانى فيها أهل المدينة الجوع والمرض والفقر.

وكما عانى أهالي المدينة، فقد عانت القوات العسكرية العثمانية التي انتشر بينها مرض الحمى الإسبانية؛ ففي شهر رجب ١٣٣٦هـ لوحظ تزايد فرار الجنود العرب من الخدمة بحجة سوء معاملة الضباط الأتراك، لكن المفاجأة كانت في اكتشاف خلية سرية تمارس الترهيب والترغيب، وتحرِّض المقاتلين من العرب وغيرهم على الفرار. وأحيل المتورطون في تلك الخلية إلى المحاكمة، وحُكِم على الكثير منهم بالإعدام، وكان ذلك في يوم ٣٠ إبريل ١٣٣٤ رومي (شعبان ١٣٣٦هـ).

في ليلة ٢٨ - ٢٩ مايو ١٣٣٤ رومي (رجب ١٣٣٦هـ) تم تخريب سكة القطار في محطة المحيط شمال المدينة بزرع ١١ قنبلة. وتوقف القطار بين الشام والمدينة إلى الأبد. وأدرك القائد وجنوده أنه لا أمل في وصول إمدادات، وأن عليهم الاعتماد على الله، ثم أنفسهم.

لجأ القائد إلى إشغال المحاصَرِين بأعمال مدنية، مثل البناء والزراعة، والتعليم والمحاضرات، ومن ذلك أنه في ١٤ ذي القعدة ١٣٣٦هـ قام القائد وجنوده بغسل رخام الحجرة الشريفة، وفي اليوم الذي يليه قاموا بتنظيف القناديل.

ويبدو أن فخري باشا لم يلجأ إلى الترحيل إلاّ بعد أن تفاقمت الأمور، فقد أعلن في بيانه الموجه لأهل المدينة في أواخر عام ١٣٣٦هـ ما يلي: "... إن الذين يعملون معنا ويشاركوننا مصيرنا برضائهم يستطيعون البقاء في المدينة، شريطة ألا يطالبوني بالمؤن مدة عام، وغير هؤلاء ينبغي أن يرحلوا عن المدينة إلى حيث شاءوا، إلى موعد غايته شهر أبريل، حتى لا يتعرضوا لعواقب ملحمة كبرى محتملة الوقوع، بسبب الحرب، أو القحط على السواء.. قائد قوة الحملة الحجازية فخر الدين".

ومما يحمد لفخري باشا أنه لم يُعِد مرسوم التسليم، وإنما سلم القيادة لمساعده أمين بك، حتى لا يكون هو طرفاً في عقد التسليم المشين.

في صباح يوم الجمعة ١٧ من شعبان ١٣٣٧هـ (٩/١/١٩١٩م) استقل الباشا السيارة، وذهب إلى المسجد النبوي وقام بالزيارة الأخيرة.. وبعدها توجه إلى بئر درويش، وسلم نفسه، ثم غادرها منفياً إلى مصر، لتنتهي بطولة عظيمة لقائد مسلم شوهتها الدعاية الاستعمارية الظالمة، وغيبتها شعارات القومية العربية الفارغة، عن العقل العربي المعاصر!!



٤٠- البداوة .. المصطلح والواقع*

مع كل ما قامت به الدولة السعودية من جهود متقدمة في دمج فئات المجتمع بادية وحاضرة وصهرهم في البنية الاجتماعية، إلاّ أن نزعة التباين النفسي بين الحاضرة والبادية لم يتم القضاء عليها بشكل كافٍ. ولا شك أن مأزق تعريف البدوي والبداوة، وعدم تحديد ذلك المصطلح بدقة له دور كبير في نشوء هذه المشكلة، فالكثير من أبناء الحاضرة ما زالوا ينظرون إلى ابن القبيلة على أنه بدوي حتى وإن ولد واستقر وتعلم في المدينة، مما ينتج عنه وجود فوارق وهمية مصطنعة مبنية على مفهوم سابق، وحاضر مؤدلج قد تصل أحياناً إلى ممارسة فعلية أو كلامية.

ومن أجل فهم مصطلح البداوة فإنه ينبغي التذكير بأن البداوة ذات خصائص معينة يمكن إجمالها فيما يلي: (التنقل وعدم الاستقرار)، و(ممارسة الرعي والصيد)، و(ارتفاع نسبة الأمية بسبب

---

* الجمعة ٣٠ ربيع الأول ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٣/٢٧م)، العدد (١٣٣٢٩).

البعد عن مراكز الإشعاع العلمي)، و(بروز العصبية القائمة على وحدة النسب، الانتماء القبلي).

لقد ساعدت هذه الخصائص في السابق على انغلاق المجتمع البدوي على نفسه، وتمسكه بملامح هُوُيته من خلال المحافظة على السلالة النَسَبية وعلى اللغة، وتوارث العادات والتقاليد والأعراف البدوية، مشكلاً بذلك إطاراً سلوكياً خاصاً بذلك المجتمع.

وإلى جانب تلك الخصائص، فقد كان هناك بعض المزايا الفطرية الجميلة التي يتمتع بها أبناء البادية الخلصاء كالنقاء والشيم الكريمة وسرعة البديهة ودقة الملاحظة والفصاحة والصدق والإيجاز في التعبير.

والحقيقة أن البادية بمواصفاتها وخصائصها المشار إليها أعلاه لم تعد موجودة بعد أن تحول أهل الوبر من حياة الصحراء والتنقل إلى حياة الاستقرار في المدن والقرى، وأخذوا بأسباب الحضارة، وانخرطوا في المدارس النظامية، ومارسوا مظاهر المدنية الحديثة من السكنى في البيوت الأسمنتية، والاعتماد على وسائل الحياة الحديثة

من تكييف وتبريد واتصال ونقل...إلخ.

إلاّ أن الملاحظ أن تسميتهم بالبادية ووصف المنتمين للقبيلة بالبدو نعوت لازمت أبناء هذه الشريحة من المجتمع حتى بعد أن تركوا حياة البداوة وتحولوا إلى حياة التحضر والاستقرار، وهذا المفهوم لا يخلو من المغالطة الظاهرة، لأنه يجعل الانتماء للقبيلة مرادفاً للبدو والبداوة، وتكمن خطورة هذا الخطأ في أن أبناء البادية قد يفسرونه على أنه مفهوم جائر قد يراد منه تحجيم دور المشاركة الواعية لهم في خدمة الوطن!

وفي هذا الصدد أتذكر قول الأستاذ محمد حسين زيدان - رحمه الله - وهو ابن الحجاز الحضري الذي ولد وترعرع في حضن أمه البدوية: "ليس هؤلاء البدو الذين ترون جماعة من الناس يحسبون في البدائيين، ليست البداوة لدينا تمثل البدائية، البدو لدينا عندهم حضارة يمثلون جزءاً من شعب، جزءاً من أمة، الأمة العربية، ذات الحضارة العريقة، فلنتفق أولاً على الحضارة، هل هي استعمال أم طبيعة؟ إن كانت هي الاستعمال فهذا البَهْرج من أدوات المدينة، أو هذا

الإنتاج له، والتعامل معه صناعةً وبيعاً وشراءً واستهلاكاً فكلنا من حضري في المدينة، أو بدوي في الصحراء كلنا شعب بدوي، وإن كانت الحضارة استعداداً وطبيعةً وفكراً وثقافةً فليس هذا البدوي بالإنسان البدائي، وإنما هو إنسان متحضر لديه الاستعداد لأن يتعلم، لقد نجحوا في المدارس، وفي الجامعات بصورة رائعة..." انتهى كلامه.

إن هذا المأزق الاصطلاحي قد يؤدي لا قدر الله إلى نوع من الخلل الاجتماعي الذي ربما يؤخر اندماج طرفي المجتمع وفق ما ترمي إليه الدولة أيدها الله ويطمح إليه أبناء الوطن المخلصون من الطرفين!



٤١- الهُوُيَّة الاجتماعية وأهمية تحديدها*

إن مصطلح الهُوِية المراد به هُوية المجتمع أو الدولة من المصطلحات الفكرية الحديثة نسبياً، مما يجعل المجال واسعاً لتعريف الهُوية، فكل مجتمع يتميز بهُوية خاصة تشكلها خلفياته الدينية والسياسية والثقافية وما يندرج تحت تلك الأساسيات من تفرعات وتحولات، مثل اللغة، فهي تتبع هذه الهوية، والأدب يتبع هذه الهُوُية، والفكر الإداري يتبع هذه الهوية، وهكذا. وقد تتعدد مكونات الهُوية الاجتماعية، فيتضمن المجتمع تعدداً دينياً أو مذهبياً أو لغوياً، وكلما نجح المجتمع في توحيد هذه المكونات وصهرها في هُوُية أشمل وأكبر، كان المجتمع أقدر على النهوض والبناء!

ومعرفة خصائص الأمة وجذور تكوينها الاجتماعي مهمة جداً للمخططين في أي مجتمع حديث، وفي هذا الصدد يقول أحد الكتاب السعوديين المتخصصين في الدراسات الاجتماعية: "لا يمكن لمشاريع

---

* الجمعة ٧ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ (٣/٤/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٣٣٦).

التنمية في المجتمعات العربية أن تنجح دون فهم أسس أنماط وقيم هذه المجتمعات وتاريخها القريب، ومن ثم توجيه وتوظيف هذه المشاريع وفقاً لذلك الفهم، بمنهجية علمية، وهذا هو التحدي الأكبر في مجتمعاتنا العربية".

فالمجتمع السعودي مثلاً يتميز بهُويته الإسلامية والعربية، فالإسلام يمثل أساس الاعتقاد الديني، ويشكل أساس الفكر والتاريخ المجيد، والعروبة تمثل اللغة والأصالة والعِرق.

فالإسلام الذي هو الأساس في بناء المجتمع السعودي تجاوز سيطرة الهُوية القبلية على المجتمع إلى تكوين الأمة، غير مغفل رابطة الوطن، فبنى مجتمعاً تقوم حياته على التعاون والتكافل والمساواة في الحقوق والواجبات، متجاوزاً الأعراف القبلية أو الإقليمية إلى الهوية الوطنية التي قوامها الإسلام ومادتها العروبة.

ومن أجل تكوين هُوية وطنية فاعلة؛ فإنه ينبغي أن يسعى الجميع إلى أن تكون الرابطة بين فئات المجتمع من بادية وحاضرة مبنية على رابطة الدين الحنيف لأنها تضمن العدل والإنصاف والمساواة، وتسمو

بالعلاقات الاجتماعية والإنسانية إلى أعلى رتبها، لتنأى به بعيداً عن الطبقية والاستعلاء، وتمنع التفكك والتشرذم، وتصحح مسار حياة المجتمع المسلم.

وحتى تتحقق هذه الهُوية الاجتماعية السليمة؛ فإنه يجب على كل مواطن أن يستشعر مسؤوليته تجاه وطنه ومجتمعه من خلال نظرة أوسع وأشمل من الحدود الإقليمية أو النوازع القبلية، أو العرقية أو الفئوية، أو غير ذلك من التشكيلات والتصنيفات الضيقة.

وهذا لا يتأتى إلاّ إذا وعى كل فرد أهمية دوره في المشاركة الفاعلة في كل مجالات خدمة الوطن، لأنه كلما زاد هذا الوعي وتعمق هذا الحس الوطني زادت فرص تعمق الهُوِيَة الوطنية المبنية على انصهار الجميع في مشروع البناء الاجتماعي والوطني الموحد.

كما أن من أسباب نجاح المجتمع في تحقيق البناء والوحدة توسيع دائرة الالتقاء والتفاعل والمشاركة بين فئات المجتمع واحترام كل أطيافه دون تعميق التمايز والتشرذم المبني على العرق أو المذهب أو الدين، وإحلال منطق الحوار مع الآخر والتعامل معه بوصفه جزءاً مؤثراً من

المجتمع، بدلاً من الانغلاق والتقوقع وخلق الحواجز الاجتماعية بين الأطياف المختلفة للمجتمع المسلم.

إن أخطر ما يهدد وحدة المجتمع ووحدة الأمة، هو إحياء بذرة التمايز التي يزرعها أفراد يعتقدون أنهم غيورون على إصلاح المجتمع وتصحيح مساره، بينما هم يزيدون من تعميق الفرقة.

وأخيراً؛ فإن الدعوة إلى انفتاح المجتمع لا يعني أن ننسى أهمية المحافظة على أساسيات الهُوية الوطنية كالدين واللغة والعادات الحميدة، بل ينبغي التنبه إلى ظاهرة تزايد أعداد المتخلفين والمتسولين، ومراقبة الآثار المستقبلية المحتملة لهذه الظاهرة وخطرها المتعلق بالاختلال السكاني، فضلاً عن مخاطرها السياسية والاجتماعية الأخرى!



٤٢- العرب بين الحكاية والكتاب!*

المجتمع العربي مجتمع عاطفي ذو مشاعر مرهفة وخيال واسع، يدل على ذلك تفوقه الأدبي البلاغي على حساب الجوانب الحضارية والعلمية، والدليل على ذلك أن العرب - خصوصاً في الجزيرة العربية - لم يتركوا آثاراً معمارية، ولم يشيدوا صروحاً حضارية كما فعل الرومان أو الصينيون أو الفرس، وإنما أرثوا كلاماً أدبياً تمثل في المعلقات والأشعار والمقامات النثرية والقصص والحكايات والأمثال السائرة.

ولهذا فلا غرو أن يطرب أحفادهم لذوي الفصاحة والكلام السردي الذي يفيض بالبطولات والقصص العاطفية والأشعار المؤثرة، على حساب الحقائق العلمية، فكانوا يتلقون القصص والأخبار دون أن يأبه أحدهم كثيراً بالسؤال عن الإثبات، أو كما قال الشاعر العربي:

* الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ (٢٤/٤/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٣٥٧).

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

في الحادثات على ما قال برهانا

وفي هذا الوسط الأدبي الخيالي كان لابد لأحاديث السمر أن تسيطر على العقول وأن تحتل مكانة مرموقة في فكر المجتمع العربي، الذي يطرب لحكايات ألف ليلة وليلة، ومعارك الزير سالم، وسيرة أبي زيد الهلالي، وبطولة ذياب بن غانم، وحكمة راشد الخلاوي، وغيرهم، وأن تجد قصص بني هلال وما شابهها هذا الرواج وهذه المتابعة الشعبية، وأن تشغل حيزاً كبيراً من تاريخنا المحلي دون أن تكون لها مصادر علمية يعتد بها.

إن سعة خيال الإنسان العربي، وقدرته على إكمال الصورة القصصية جعلت رواته لا يجدون صعوبة في بناء السير والأخبار والأمجاد المدعمة بالشعر الذي هو ختم المصادقة والإثبات لدى المتلقي العربي.. فكان الراوي لا يحتاج إلاّ إلى اسم مشهور مثل: سيف بن ذي يزن، أو المهلهل، أو عنترة، أو الزير سالم، أو أبو زيد الهلالي، أو ذياب بن غانم، أو جحا، أو الخلاوي، أو شايع الأمسح، أو نمر بن عدوان، أو

محسن الهزاني، أو غيرهم من المشاهير ....إلخ.

ولا يعني هذا إنكار كل ما نسب إلى تلك الشخصيات التاريخية، وإنما ينبغي ألاّ نجزم بصحة كل ما ينسبه الحكواتيون إليهم! وفي هذا الصدد يقول أ. د. محمد الهرفي في مقال له في المجلة العربية (رجب ١٤٢٤هـ، ص١٠٤- ١٠٥): "إن السيرة الشعبية التي لا ترتكز على أصل تاريخي يمت إلى الحقيقة، إنما هي نسيج من خيالات وأحلام وأوهام تتشابك مع ظلال من الحقيقة في الإطار العام للسيرة وليس في جزئياتها التي ربما كانت مقتصرة على الجانب الوهمي الخيالي دون غيره.." انتهى كلامه.

لا شك أن مجتمعاً يتكئ في ثقافته على حكايات (كان يا ما كان) التي ينسجها الحكواتيون ويجيد الرواة حفظها، وتتناقلها الأجيال، ويتلقفها تجار النشر، سيكون ميالاً إلى الاستماع أكثر منه إلى القراءة وإن كان دينه يقوم على مبدأ (إقرأ). لأن القراءة هي الطريق إلى العِلْم، والعِلْم هو الطريق إلى معرفة الحقيقة، ومعرفة الحقيقة هي الطريق إلى محاربة الخرافة!

إن سبب ضعف المسلمين ووهنهم مع عظمة دينهم واكتمال متطلبات البناء الحضاري والإنساني فيه؛ هو إعراضهم عن العمل بما يدعوهم إليه من مقومات بناء الإنسان فكراً وسلوكاً، ابتداء من القراءة وانتهاء بإماطة الأذى عن الطريق.. وإذا كانت أمتنا قد تأخرت كثيراً بسبب الميل إلى السماع والطرب إلى بليغ الكلام حتى وإن كان قول شاعر، فإن مستقبلها القريب لا يبعث على التفاؤل ونحن نرى هذا الانجراف المحموم نحو الشعر العامي ورموزه مع بزوغ ظاهرة جيل شاعر المليون، وقنوات شيلات المديح المدفوع الثمن لأصحاب الإبل المبيضة بالأصباغ الصناعية، والمنظفة بالشامبو والمعطرة بالعطور الباريسية!

ختاماً؛ إنه من المحزن أن معدل ما يقرؤه العربي سنوياً ٤ صفحات فقط، مقابل ٤٠ كتاباً يقرؤها الإسرائيلي!



٤٣- المدينة المنورة في أدب الرحلات*

هذا هو عنوان ملتقى العقيق الثقافي الذي نظمه نادي المدينة الأدبي خلال المدة من ١٠- ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، ومن خلال حضور هذا الملتقى والاستماع إلى أوراق العمل التي ألقيت من أكثر من ٢٠ باحثاً وباحثة، يكاد يجمع كل من حضر ذلك الملتقى على أن النادي قد وفق في اختيار هذا الموضوع، فضلاً عن نجاحه في التنظيم واستقطاب أسماء لها وزنها للمشاركة في هذا الملتقى من أمثال المؤرخ والمحقق المغربي د. عبدالهادي التازي، والرحالة الشيخ محمد بن ناصر العبودي، ود. عائض الردادي، ود. عبدالباسط بدر، وغيرهم.

والحديث عن المدينة في كتب الرحلات حديث شيق وباب واسع، لأن المدينة المنورة ربما تكون أكثر المدن الإسلامية جذباً للرحالة المسلمين الذين يزورونها كل عام لأسباب دينية تجعل

* الجمعة ٥ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ (٢٩/٥/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٣٩٢).

فؤاد زائرها يهفو إليها ويحمل في داخله إحساساً روحانياً يجعل لزيارتها طعماً وشعوراً يختلف عن زيارة غيرها من المدن لكونها عاصمة الإسلام الأولى، وفيها مسجد المصطفى وجثمانه الطاهر هو وكبار صحابته وآل بيته.

ولهذا فإن الشوق الذي يُقبل به زائرها، والانطباع الذي يعود به؛ خصوصاً إذا كان من خارج الجزيرة العربية يجعلان لذكريات طيبة الطيبة مكانة محببة إلى النفس وحديثاً تحسن روايته لكل متشوق إلى معرفة هذه البقعة الطاهرة، والوقوف على شكل الحياة فيها، ومعرفة أحوال الطريق إليها.

لهذا السبب استمتع المشاركون والحضور بما طرح من موضوعات، وتفاعلوا معها بكل حواسهم وكأنهم يسمعون وقع خفاف إبل الرحالة وهي تتهادى قاصدة المدينة، أو تجوب باحاتها وأزقتها، بل لا أبالغ إذا قلت إن تلك الأوراق التي تبارى المشاركون في عرضها بإتقان قد جعلت الحضور يعيشون ماضي المجتمع المدني وكأنهم يرونه رأي العين، وكأنهم

يتنقلون بين حارات المدينة وبين مساجدها ومآثرها وجبالها وأوديتها، يماشون ركب الحجيج تارة، ويسامرون أهل المدينة تارة أخرى!

وكان من الأشياء الجميلة التي استوقفتني ما جاء في ورقة د. جلال الحفناوي الذي ذكر أن هناك ما يقارب ٢٠٠٠ رحلة باللغة الأوردية تتناول المدينة المنورة معظمها لم يترجم بعد.

كما كان من تلك الأشياء أيضاً ما أبرزته الرحلات حول حياة المجتمع المدني وما كان يتميز به ذلك المجتمع من التنوع الثقافي والتسامح الديني الذي يبدو جلياً من خلال استيعاب المدينة للمذاهب الدينية المختلفة، وفي التعايش السلمي بين أصحاب تلك المذاهب دون تعصب أو إقصاء، فأين نحن من ذلك المجتمع وما يسعى إليه بعض المتحمسين اليوم من وجوب التشديد على المذاهب الأخرى، وما يقوم به بعض هؤلاء من خلال شبكة الإنترنت من تتبع لبيوت المدينة وتصنيفها على

أساس مذهبي أو ديني أو عرقي، وكأنهم موكلون بمراقبة عباد الله!

إن هذا التوجه الذي يمارسه هؤلاء يدل على جهلهم بتاريخ المدينة وتركيبتها السكانية وتأثرها بالمد الفكري والثقافي القادم من شتى أقطار العالم الإسلامي، ولا يدركون أيضاً خطورة ما يمارسونه على وحدة المجتمع المدني خصوصاً، والمجتمع السعودي عموماً.

وإذا كان ملتقى العقيق الأدبي الثالث قد أثار الكثير من الأطروحات والتساؤلات، فإن من ذلك أيضاً ما يتعلق بقضية منع غير المسلمين من دخول المدينة، وما نتج عنه من لجوء الكثير من أولئك الرحالة إلى التحايل عن طريق التخفي تارة، أو عن طريق انتحال شخصيات إسلامية تارة أخرى. إن هذا الموضوع ربما يطرح تساؤلاً عن مدى إمكانية السماح لغير المسلمين من الرحالة والصحفيين لزيارة المدينة وفق ضوابط وتراخيص رسمية من أجل خدمة تاريخ المدينة وتعريف العالم بها، خصوصاً

وأن ذلك لا يتعارض مع التعاليم الشرعية في رأي الكثير من علمائنا!



٤٤- حب الإنجليز للعرب.. ومن الحب ما قتل!*

إن مَن يقرأ في أدبيات الثورة العربية التي قامت عام ١٣٣٤هـ (١٩١٥م)، خصوصاً الدور الكبير الذي قام به الإنجليز، يلحظ مدى نجاح الدعاية الإنجليزية المتمثلة في السيطرة على عواطف العرب واستلاب عقولهم، وجعلهم يصدحون بأهازيج الحرية الوطنية، ويتغنون بأمجاد القومية، بل يتغزلون بحب الأصدقاء الإنجليز. وهكذا استطاعت تلك الدعاية الماكرة أن تجعل العرب يكرهون الأتراك أشد ما يكون الكره، ويحبون رسل الحرية الأوروبيين المتعاطفين مع العرب، والمخلصين في مساعدتهم؛ لنيل حريتهم وإعادة حقوقهم التي نهبها الأتراك المستعمرون!

كان هؤلاء المحبون للعرب كرماء جداً مع العرب، ولم يقف كرمهم عند حد إمداد العرب بالمال والسلاح بسخاء، وإنما خاضوا المعارك مباشرة، وأعطوا العرب دروساً مجانية وعملية في

---

* الجمعة ١٩ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٦/١٢م)، العدد (١٣٤٠٦).

كيفية زرع المتفجرات تحت قضبان سكة حديد الحجاز، ليس لقطع أهم طرق المواصلات في الدولة الإسلامية فحسب، ولكن لقتل أكبر عدد من الأتراك الأنجاس، حسب وجهة نظر هؤلاء الإنجليز المهذبين!

يقول أحد الرجال المشاركين في الثورة العربية، وهو فائز الغصين، المحامي السوري الذي التحق بخدمة قيادة الثورة في الحجاز وهو يتكلم عن وصوله إلى ينبع: "... وقد تعرفنا على الميجر (غرالاند) الإنجليزي، وقد جاء لينبع يعلِّم العرب وأفراد الجيش استعمال الديناميت في نسف الجسور والقطارات". (مذكراتي عن الثورة العربية. ص ٢٥٦).

أما الشريف عبدالله بن الحسين أحد زعماء الثورة العربية فيقول في كتابه: (مذكراتي) (ص ١٤٧): "ألحقت بنا مفرزة تخريب فنية يقودها ضابط بريطاني برتبة ميجر، واسمه (دافنبورت)، وهو رجل دمث خلوق.. وممن كان في معيته من الإنجليز الكابتن (غارلند) وهو من محبي العرب مخلص شديد الإخلاص، وكان من الساعين

للعمل مع المخلصين من العرب للعرب.. ثم كان من الرجال الذين عرفتهم بطيبة النفس والإخلاص الكابتن (غولدي) وهو رجل نحيف طويل معروق الوجه أخضر العينين بشوش هشوش. ثم عرفت أيضاً من الإنجليز الكولونيل (نيوكمب) وهو ممن يتظاهر بمحبة العرب في كل محل، ومن كثرة أحبابه ظل في عمله. وممن عرفت منهم الميجر (جويس) أو (جويس بك)، وهو من أخلص الناس للإنكليز والقضية العربية، وقد خدم أكثر من (لورانس) خدمة حقيقية قاسى فيها أنواع الشدائد، من حرارة مواسم الحجاز في الذهاب والإياب ...إلخ".

أقول: في الحقيقة أن هذه الأسماء ما هي إلا غيض من فيض من أسماء الضباط والجواسيس الإنجليز الذين سعوا إلى تمزيق الدولة العثمانية، وتقاسم البلاد الإسلامية، وإعطاء فلسطين لليهود، من خلال الضحك على العرب بما أسموه الثورة العربية، وفي هذا الصدد فإن (لورانس) الذي يعده الثوار العرب الحبيب الإنجليزي الأول، يقول في مذكراته: "وقد أيقنت أن الثورة العربية ستكون السبب في تمزيق تركيا".. ويقول أيضاً: "وبما أننا نقاتل في سبيل

انتصار الحلفاء؛ رأينا من واجبنا أن نضحي بالعرب في سبيل الإنجليز، بل بالأحرى في سبيل انتصار قضية الحلفاء!".

ولأن العبر تستفاد من التاريخ فهل استفاد العرب من تجربتهم مع محبة الإنجليز من (لورانس) إلى (بلير)، خصوصاً فيما يتعلق بقضية فلسطين والعراق، التي تنهب فيها أوطان، وتضيع حقوق، وتقتل شعوب؟ أم أن من المحبة ما قتل؟



٤٥- أيوب صبري باشا ومرآة الجزيرة العربية*

ولد المؤرخ أيوب صبري باشا في بلدة تساليا في تركيا في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وبعد أن نشأ وترعرع في بلدته التحق بالعمل في قوات البحر، ثم كلف بالعمل في الجيش العثماني بولاية الحجاز، حيث عين مديراً للبحرية العثمانية في الحجاز في حدود سنة ١٨٦٥م. وبعد انتهاء مهمته عاد إلى تركيا. وتمت ترقيته إلى أمير لواء، ثم شغل وظيفة رئيس قسم المحاسبات البحرية، كما تولى التدريس في مدرسة البحرية الشاهانية في اسطنبول.

وقد عرف أيوب صبري باشا إلى جانب مهامه العسكرية والوظيفية باهتماماته الأدبية، واشتهر بمؤلفاته التاريخية التي ذاع صيتها مثل: تاريخ الوهابية (تاريخ وهابيان) ألفه سنة ١٨٧٩م، و(مرآة مكة) ألفه سنة ١٨٨٤م، و(تكملة المناسك) ١٨٧٥م، و(مرآة

* الجمعة ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ (١٩/٦/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٤١٣).

المدينة) ١٨٨٧م، وقد جمع المؤلفات الثلاثة الأخيرة في كتاب واحد بعنوان: (مرآة جزيرة العرب) الفه سنة ١٨٨٩م، إضافة إلى كتاباته الدينية والأدبية الأخرى مثل (نجاة المؤمنين)، و(ترجمة الشمائل الشريفة)، و(شرح قصيدة بانت سعادة)، وغيرها من المؤلفات مما يضيق المجال عن تتبعها. وقد توفي أيوب صبري باشا في اسطنبول في الأول من شهر صفر ١٣٠٨هـ، ١٨٩٠م بعد حياة حافلة بالأعمال العسكرية والأدبية.

وكتاب مرآة جزيرة العرب هو أحد مجلدات مرآة الحرمين، وهو المجلد الخاص بالجزيرة العربية، ويمثل هذا المجلد مؤلفاً متكاملاً عن الجزيرة العربية، وبالأخص منطقة الحرمين الشريفين، تناول فيه المؤلف جغرافية الجزيرة العربية وسكانها، واعتنى عناية فائقة بالعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي، خصوصاً لدى القبائل الحجازية، مما جعل الكتاب يحظى بشهرة واسعة في الدولة العثمانية التي كان قادتها وباحثوها بحاجة إلى معرفة المزيد عن تاريخ بلاد العرب.

ويتميز كتاب أيوب صبري باشا برجوع المؤلف إلى أمهات كتب التواريخ والسير الإسلامية مثل: تاريخ القطبي (الأعلام)، وتاريخ الأزرقي، وتاريخ الفاكهاني، وخلاصة الوفاء للسمهودي، وفتوح الحرمين، وغيرها.

ومما ساعد على دقة المعلومات التي سجلها أيوب صبري باشا مكوثه في المنطقة لما يقارب عشر سنوات، واطلاعه بحكم موقعه الوظيفي، على الكثير من التقارير الرسمية التي يعدها المسؤولون العثمانيون في إقليم الحجاز ويرسلونها للباب العالي في إسطنبول.

وقد قام الباحثان د. أحمد فؤاد متولي، ود. الصفصافي أحمد المرسي، الأستاذان المشاركان بكل من كليتي الآداب بجامعة عين شمس، والعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، بنقل الكتاب إلى العربية، وصدر عن دار الرياض للنشر والتوزيع، بالرياض، عام ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

وقد جاءت النسخة المترجمة في جزءين، احتوى الأول على مقدمة المترجمين، وثلاثة أبواب، واحتوى الجزء الثاني على ثلاثة

أبواب أيضاً، وتحت كل باب بضعة فصول، ويقع الجزآن في ٣٩٨ صفحة.

ويلحظ على النسخة المترجمة خلوها من تعليقات المترجمَين، وعدم وجود حواشي توضيحية باستثناء تحشيات المؤلف نفسه، مما يجعل هذه النسخة مجرد نقل للعربية دون تحقيق أو تعليق على نصوص المؤلف. كما يؤخذ على الترجمة كثرة الأخطاء التصحيفية خصوصاً في أسماء المواضع والقبائل، مما لا يتسع المجال لإيضاحه.



٤٦- كيف نهضت أوروبا؟*

إن أهمية معرفة العلامات والخصائص التي تميز عصور النهوض الحضاري لدى الأمم تكمن في حاجتنا إلى معرفة وضعنا على درجات مؤشر النهضة، لمعرفة موقعنا بين الأمم، وهل نحن أمة ناهضة أم أمة قاعدة؟ وهل نحن نقترب من النهوض أم نبتعد عنه؟

ولعل أقرب مثال يمكن أن نستخدمه للمقارنة والقياس هو النموذج الأوروبي الذي يُعدُّ من أكثر الأمثلة وضوحاً وقابلية للقياس والمقارنة.. فكيف نهضت أوروبا التي كانت تعاني من تخلف شعوبها وبدائيتها في العصور الوسطى؟ وكيف تحررت من قيود التخلف وانفكت من طوق البدائية لتدخل عصر النهضة الحديثة؟ وكيف أصبح قادتها أسياد العالم خلال حقبة وجيزة؟

ومع أن المؤرخين يختلفون في تحديد بداية عصر النهضة الأوروبية، إلا أن أمثلهم طريقة يرجع بداية عصر النهضة إلى القرن

---

* الجمعة ١٧ رجب ١٤٣٠هـ (١٠/٧/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٤٣٤).

الرابع عشر أو الخامس عشر الميلادي.

فيرى هؤلاء أن بوادر النهضة الأوروبية بدأت في القرن الثالث عشر واستمرت في التنامي إلى السادس عشر الذي تشكلت فيه الدولة الحديثة، وبرزت فيه حركة الإصلاح الديني، ووقعت فيه المواجهة الحقيقية بين الإصلاحيين وبين رجال الكنيسة المتحكمين في حكم البلاد والعباد..

كما نتج عن تشكل الدولة الحديثة القوية تنافس سياسي قوي، أدى إلى حروب سياسية طاحنة، ونزاعات مسلحة بسبب رغبة الدولة الناشئة في التوسع والانتشار، وفرض سيطرتها، وأخذ حصتها العالمية من الثروات الطبيعية وطرق التجارة والأسواق العالمية..

وكان من أشهر تلك الحروب غزو ملك فرنسا شارل الثامن لإيطاليا عام ١٤٩٤م، وما تلى ذلك من أشكال التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية دون استثناء..

وفي سبيل هذا التوسع استجدت ظاهرة الاكتشافات الجغرافية، وتنافست دول أوروبا في إرسال البعثات الاستكشافية

العلمية إلى أنحاء المعمورة، بعد أن كان الرجل الأوروبي قابعاً في قارته طيلة القرون السابقة..

ودون الخوض في مراحل النهضة وما مرت به من مخاضات عسيرة، وتحولات وصراعات، فإن الذي يهمنا هنا هو التعرف على مظاهر النهضة الأوروبية التي جعلت القرون اللاحقة تسمى عصر النهضة الأوروبية..

وكان أول تلك المظاهر هو التحرر من الجمود الفكري الذي كان يميز أوروبا في العصور الوسطى..

ففي هذا العصر تحرر فكر الفرد من الدوران في نطاق ضيق مصور في تبعية الفكر الديني المقيد لرجال الكنيسة المنغلقين على التعليمات الرهبانية المتوارثة.

وبهذا الانعتاق انطلق الفكر لفضاءات علمية وأدبية أرحب وأوسع، فظهرت في أوروبا حركة أدبية وعلمية واسعة النطاق، واستجدت علوم ومعارف فتحت للعقل البشري آفاقاً جديدة..

أما في مجال الجانب السياسي؛ فقد ظهرت مسألة القومية

السياسية، وبرز مفهوم الدولة القومية الحديثة المبنية على قيام مؤسسات صناعية وتجارية كبيرة تسيطر عليها الطبقات المتوسطة أو البرجوازية بدلاً من التجارة الفردية الضعيفة.

وكان من مظاهر العصر الصناعي والتجاري تراجع أهمية ملاك الأرض الإقطاعيين..

ونظراً إلى بروز دور الطبقة المتوسطة وتأثيرها في النشاط الاقتصادي؛ فقد نشأت ظاهرة الإحساس بالمصلحة المشتركة، أو المصلحة العامة، كما برز الشعور القومي المبني على وحدة اللغة والدين والجنس..

وفي مجال الاقتصاد فإن التنافس التجاري الحر حل محل الاحتكار والفردية، وأصبح الفرد يمارس نشاطه المهني أو التجاري بعقلية تقوم على الكفاءة وحرية الاختيار.

كما كان من نتائج هذا التوجه الاستثماري المهني احترام الإنسان للعمل والوقت، واحترام صاحب العمل للكفاءة المهنية..

وبمعنى آخر فقد تطورت العلاقة بين المنتج والمستهلك بشكل إيجابي يقوم على سعي كل طرف إلى تحسين العلاقة مع الطرف الآخر وكسب رضاه بعيداً عن الاستبداد أو التسلط أو الاحتكار الذي كان سائداً في العصور السابقة، والذي لا يزال سائداً في الدول المتخلفة!



٤٧- من شيم بلادي!*

استوقفني وأنا أقرأ كتاب مذكرات الأميرة بديعة ابنة الشريف علي بن الحسين بن علي إحدى أميرات الأسرة الهاشمية الحاكمة في العراق قبل ثورة عبد الكريم قاسم.. موقف من تلك المواقف السعودية النبيلة ظل سراً من الأسرار إلى أن أعلنه الطرف الآخر بنبرة من الوفاء والعرفان.. يعود ذلك الموقف إلى يوم الاثنين الموافق١٤(تموز) يوليو ١٩٥٨م، وهو اليوم الذي استيقظت فيه بغداد على مذبحة شنيعة راح ضحيتها جميع أفراد الأسرة الهاشمية المالكة في العراق على يد ثورة حزبية انقلابية نفذت مجزرة قصر الرحاب الملكي، وأحرقته بمن فيه من أفراد أسرة الملك فيصل الثاني رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً. لم ينج من تلك المذبحة الشنيعة إلا صاحبة المذكرات وزوجها الذين نجوا بأعجوبة..

* الجمعة ٢٤ رجب ١٤٣٠هـ (١٧/٧/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٤٤١).

ولأن الانقلابيين كانوا يتعقبون أفراد الأسرة الهاشمية للفتك بهم، فقد كان على الأميرة بديعة وزوجها الشريف حسين بن علي الهروب من مسكنهم واللجوء إلى جهة تحميهم من بطش الانقلابيين، فقضوا يومهم الأول لدى صديق لهم مخاطرين بحياته وحياتهم.. ونستمع لصاحبة المذكرات وهي تسرد القصة: "... في الصباح (١٥ تموز ١٩٥٨م) اقترح زوجي الشريف حسين أن نلجأ إلى سفارة المملكة العربية السعودية كآمن مكان لنا، لأنه لم يكن باستطاعتنا اللجوء إلى أي مكان آخر، فلا سفارة أردنية، والانقلابون دخلوا السفارة البريطانية، ولا ندري ماذا حل بالسفارة الأمريكية".

ثم تذكر بعد ذلك أن أحد أصدقاء العائلة واسمه (عبد القادر رانية) أوصلهم السفارة السعودية في الصباح الباكر وهم في حالة يرثى لها من التوتر والارتباك، وتواصل سرد قصتها: "... قادني بواب السفارة إلى الصالة، فجلست منكسرة منحنية على أحد المقاعد...

رفعت رأسي وإذا بي قبالة صورتين، لم يخطر في بالي مطلقاً بأنني سأجلس أمامهما يوماً (واحدة للملك عبدالعزيز آل سعود وأخرى لولده الملك سعود). دخل الخادم وسألني: من أنت يا سيدتي؟! طأطأت برأسي حرجاً؛ لم أعرف كيف أرد، خانني التعبير.. استعصت علي الإجابات ويتردد: (أنا خالة الملك فيصل الثاني، وأخت الأمير عبد الإله).

ارتعدت فرائصه، اضطربت معاني محياه.. ثم فر ينادي على السفير.. نزل (إبراهيم السويل) من الطابق العلوي لاهثاً.. لكنه ما إن وقع بصره علي حتى هدأ. لم يتفوه بكلمة، لأنه كان يدرك حجم ما جرى ببغداد يوم أمس من مأساة.. أخبرته أن زوجي الشريف حسين هو الذي أرسلني وأنا الآن في انتظاره.. هزته كلماتي.. اغرورقت الدموع في عينيه، وهو ينظر إليّ بتأمل.. ثم تركني وذهب، ربما ليتصل بحكومته!".

ثم تصف بعد ذلك احتضان السفارة السعودية لهم شهرا كاملاً، ونجاح السفير السعودي في حمايتهم وإخفائهم عن أعين

الانقلابيين وجواسيسهم.. ثم تواصل حديثها تحت عنوان: موقف سعودي لا ينسى!: "واصل زوجي لقاءاته بالسفير السعودي، وعلمت بعد أيام بأن الملك سعود بن عبدالعزيز، قد جعلنا كلنا على عاتق سفيره ببغداد. أمره أن يحافظ علينا بأي ثمن، فنحن في ذمته وبرقبته، وإن وقع لنا أي مكروه فسوف يتحمل ذلك".

ثم تثني صاحبة المذكرات بعد ذلك على معاملة آل سعود لعائلتها، ومسارعة آل سعود إلى طي صفحات الماضي رغم ما حصل في تاريخ الطرفين من تأزم.. ثم تقول: "وبعد الانقلاب سافر زوجي من جنيف إلى الرياض لمقابلة الملك سعود والتشكر منه، في الوقت نفسه طلب منه جوازاً سعودياً، وإذا بالملك سعود يتطوع لإبداء موقف مشرف آخر، فيتعهد لزوجي بأنه على استعداد لتعويضه عن كل ما خسره كاملاً! فشكره الشريف على مشاعره الصادقة وعرضه السخي ذاك بالرغم من أن إمكانات المملكة عام ١٩٥٨م، ليست كما إمكاناتها اليوم، إلا أنهم وقفوا ذلك الموقف المشرف معنا، بينما لم يقف مثلهم وموقفهم آخرون من أقرب الناس إلينا!".

وأكتفي بهذه العبارات التي نقلتها باختصار شديد لضيق المساحة!



٤٨- وحشية الديمقراطية الأمريكية!*

مع أن العالم قد استقبل عهد الرئيس أوباما بالكثير من التفاؤل والارتياح بعد أن وصلت التجاوزات الأمريكية تحت قانون الحرب على الإرهاب حداً لا يطاق.. إلا أن الرئيس أوباما ما زال بعيداً عن تطلعات المتفائلين، إذ إن دولته التي تتباكى على حقوق الإنسان في الدول المناهضة لها، لا زالت تمارس تسلطاً واستبداداً وانتهاكاً لحقوق الإنسان عندما تستدعي مصالحها النيل من أشخاص أو دول ترفض الانصياع لمطالبها.

ومن آخر القضايا التي تظهر هذا الجانب من السلوك الأمريكي قضيتان لفتتا انتباه المراقبين، ولم تستطع الدعاية الأمريكية حجبهما عن الرأي العام العالمي.. فالقضية الأولى هي حالة الشيخ محمد بن علي المؤيد من اليمن الذي ألقي عليه القبض عام

---

* الجمعة ٣٠ شعبان ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٨/٢١م)، العدد (١٣٤٧٦).

٢٠٠٣م في ألمانيا بتدبير واستدراج من عملاء المخابرات الأمريكية، وتلفيق تهمة الإرهاب له، وهي تهمة كافية لجعل الدول الأخرى تتعاون مع واشنطن على حساب الاعتبارات القانونية والسيادية والإنسانية!! ولهذا فقد تمكنت المخابرات الأمريكية من نقل المؤيد ومساعده من ألمانيا إلى أمريكا، وإدانته بتهمة الإرهاب بعد محاكمة ظالمة، وحكم عليه بالسجن لمدة ٧٥ عاماً، ثم أثبت التحقيقات بعد خمس سنوات براءة المؤيد ومرافقه من التهم الموجهة إليهما، واتضح أن القضية كانت مبنية على شهادات غير مقنعة، فتم الإفراج عنهما وترحيلهما إلى اليمن بعد أخذ التعهد عليهما بعدم الاعتراض أو المطالبة بأية حقوق بشأن ما تعرضا له من الإهانة والخديعة والتعذيب والسجن!! فأية ديمقراطية؟ وأية حقوق إنسانية هذه التي تجبر المظلوم على التنازل عن حقوقه في التظلم والاستئناف؟

أما الحالة الثانية؛ فهي حالة تاجر السلاح الروسي فيكتور بوت الذي نصبت له المخابرات الأمريكية كميناً في تايلاند، ودست عليه

عدداً من عملائها فالتقوا به منتحلين صفة تجار سلاح كولومبيين، وأوقعوه بالصوت والصورة.. غير أن إدراك الحكومة التايلندية لحقيقة اللعبة الاستخباراتية، ووقوف روسيا إلى جانب مواطنها، جعل التايلنديين يقفون بكل شجاعة ضد تسليم المتهم أو نقله إلى أمريكا، ويرفضون الانصياع لضغوط الولايات المتحدة ومطالبها.

والمثير للتساؤل في قضية فيكتور بوت أن سماسرة السلاح الأمريكيين والإسرائيليين يجوبون العالم ويقدمون الأسلحة للأطراف المتحاربة في كل أنحاء العالم، ولا يُعَد ذلك إرهاباً في نظر أمريكا وحلفائها الغربيين!

فأية ديمقراطية هذه التي تجيز لنفسها ما تحرمه على الآخرين؟

إن قضيتي المؤيد وبوت، وقبلهما قضية حميدان التركي وعشرات القضايا المماثلة أضحت دليلاً واضحاً على كشف زيف الدعاية الأمريكية، وغدا واضحاً أن أمريكا تستخدم شعارات

الديمقراطية والعدالة سلاحاً ضاغطاً ضد مخالفيها والمعارضين لسياساتها وأغراضها المكشوفة والمخفية!!

إن تجريم الرئيس السوداني مع السكوت عن مجرمي العدوان على غزة، أو تجريم المقاومة في فلسطين، وتجريم دعم المحاصرين في قطاع غزة، واعتبار إطلاق صواريخ المقاومة الفلسطينية رغم بدائيتها جرائم حرب، في الوقت الذي يحق لإسرائيل وهي الطرف المغتصب أن تستخدم كافة أسلحتها الفتاكة بما فيها الحصار الجماعي والقنابل العنقودية وقنابل الفسفور الأبيض المحرمة دولياً، يقدم البراهين الواضحة على ظلم الديمقراطية الأمريكية، وخداعها المكشوف للعالم!!

وهذا الوضع لا ينحصر في الصعيد الفلسطيني وحده، لكن أمريكا تمارسه في العراق وفي أفغانستان وفي أمريكا اللاتينية، وشرق آسيا والمغرب العربي، وفي كل مكان..

أليس من المخجل جداً، للرئيس وللعالم أن تتباهى أمريكا

بديموقراطيتها وحمايتها لحقوق الإنسان، وأن تضع نفسها حارساً للفضيلة بينما تمارس استخباراتها انتهاك حقوق الإنسان بأساليب أكثر بشاعة ودناءة.. وإنه لمن العار أن يبقى العالم صامتاً ومطأطئاً رأسه للعم سام، تضامناً أو إنحناء أمام عاصفة غضب القوة العظمى!!



٤٩- صفحات من تاريخ المذنب*

تمثل محافظة المذنب واجهة مشرقة من واجهات هذا البلد المعطاء، ومع أن عابر الطريق قد لا يرى منها غير ظاهرها الجميل كواحة خضراء من واحات منطقة القصيم الزراعية؛ إلا أنها تاريخيا تمثل صفحة مفعمة بعبق التاريخ وكنوزه التي تبعث كوامن النفس وتثير شجنها وحنينها نحو الماضي العربي الأخاذ بسحره الأدبي والتاريخي. كما تمثل في حاضرها لوحة جميلة وواجهة مشرقة من واجهات التطور والنهضة في بلادنا.

وإذا كانت بعض المصادر ترجع عمارة المذنب إلى القرن السادس الهجري، فإن الشواهد الأدبية تثبت أن هذه المنطقة كانت حاضرة على مسرح الحياة والحركة قبل ذلك بكثير، بل أظن أنها كانت منطقة عامرة على مر التاريخ لما يتوافر فيها من عوامل الاستقرار التي تجتذب الإنسان الباحث عن المراعي والمياه التي هي قوام الحياة

---

* الجمعة ٧ رمضان ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٨/٢٨م)، العدد (١٣٤٨٣)

البشرية منذ بدء الخليقة.. وأول ما يتبادر الذهن حول علاقة المذنب بالماء والنماء اسمها المشتق من مذانب الأودية، وهي نهاياتها التي تشكل الرياض الخضراء. كما يدل على قدم المذنب حضورها الجميل في ذاكرة الشعر العربي من العصر الجاهلي وما بعده، مثل قول الشاعر الجاهلي الطويق النميري:

عَرَفْت لحبي بين مُنعَرَج اللوَى

وأسفل ذات البانِ، مبدَى ومحضرا

إلى حيث فاض المذنبان وواجها

من الرمل ذي الأرطىَ قواعدَ عقّرَا

ومن ذلك أيضا قول الشاعر لبيد بن ربيعة العامري:

طَرِبَ الفؤادُ وليته لم يطْرَبِ

وعناه ذكرى خلة لم تصقب

سفها ولو أني أطيع عواذلي

فيما يشرن به بسفح المذنب

وقول شاعر آخر:

خليلي عوجا من (رقاب) الركائب

على طلل بين اللوَى والذنائب

والمجال هنا لا يسمح بتقليب الصفحات المطوية من الشعر والتاريخ المتعلق بالمذنب تلك الصفحات التي أثار شجني نحوها الباحث خالد الحسياني في كتابه: (صفحات مطوية من تاريخ المذنب) الصادر عام ١٤٢٧هـ، في ٣٤٤ صفحة مليئة بالمعلومات الدقيقة، والصور المعبرة، والوثائق النادرة، التي تكشف الكثير من الجوانب الجميلة في تاريخ المذنب، وتؤكد حضارته العريقة، من خلال ما مر به من حوادث سياسية، وما سطره أهله من مواقف تاريخية مشرِّفة؛ خصوصا في عصر الدولة السعودية في مراحلها الثلاث. فقد كان المذنب حاضرا على مر التاريخ السعودي، وكان لأمرائه وعلمائه وأعيانه اليد الطولى في البناء وترسيخ الوحدة الوطنية الذي هو الهدف الأسمى لقيادة هذه البلاد حرسها الله. لقد أحسن المؤلف في إظهار الدور العلمي المشرق لهذا البلد من خلال ما قدمه من تراجم

ومعلومات قيمة عن علماء المذنب وقضاته وطلبة العلم فيه على مدى أربعة قرون.

يتميز الكتاب بحسن التبويب والتسلسل الموضوعي، ودقة المعلومات والاستدراكات الجيدة على بعض المعلومات السابقة، مما يدلل على الجهد الكبير الذي بذله الباحث رغم صعوبة مثل هذه البحوث وحساسيتها، في ظل غياب الدعم المؤسسي والاجتماعي الذي يعاني منه الباحثون. وقدم لهذا الكتاب وأثنى عليه أديبان كبيران أحدهما د. حسن الهويمل، والآخر الأستاذ الباحث عبدالرحمن بن عبدالله الغنايم.

لقد جاء هذا الكتاب تتويجا لمحاولات سابقة ورائدة أسست لكتابة تاريخ المذنب لباحثين رواد أمثال الشيخ محمد العبودي، والأستاذ الباحث عبدالرحمن الغنائم، وغيرهما..

وختاما؛ فإني أعتذر عن التأخر في تناول هذا الكتاب الوثائقي، وأهيب بقراءته وأمثاله من المؤلفات الجادة التي تقدم لنا صورا مشرقة من تاريخ بلادنا الذي لازال الكثير منه مجهولا أو متجاهلا بسبب

تقصيرنا نحو معرفته ونشره، فضلا عن تقصيرنا في دعم الباحثين الجادين كصاحب هذا الكتاب وأمثاله..



٥٠- د. صالح المالك.. سيرة يكتبها المحبون*

كثيرون تتكرر صورهم وأسماؤهم على مشاهدنا ومسامعنا عبر وسائل الإعلام، حتى نعرف وجوههم ونحفظ أسماءهم؛ لكننا لا نعرف حقيقة إنجازاتهم وعطاءاتهم، ولا نقدِّر إنجازهم حق قدره إلا بعد أن نقرأ سيرهم ونبلوا أخبارهم، والفقيد د.صالح بن عبدالله المالك واحد من هؤلاء..

وما أكتبه اليوم عنه ليس مقالاً تأبينيًا، وإنما هو توقف عند حالة من حالات الوفاء، التي تمثل أحد الجوانب الجميلة في مجتمعنا.. وإذا كان الفقيد قد أوجد لنفسه تلك المكانة الرفيعة والصورة البديعة التي نقش معالمها على صفحات سيرته مستخدمًا كل أدوات التميز والنجاح والسمو التي تفرض الاحترام والإجلال والمحبة لصاحب الشخصية في نفوس الآخرين.. فقد استطاع المواطن صالح المالك أن يسمو بثقافته، وكفاءته، وإخلاصه، وأخلاقه، وإنسانيته، أديبًا، ومرؤوسا، ورئيسًا، وأبًا،

---

* الجمعة ١٤ رمضان ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٩/٤م)، العدد (١٣٤٩٠).

وصديقاً، ليتربع على قمة المجد ويحقق خلود الذكر، ويثير أشجان المحبين..

لقد غرس بتلك الخصال محبة الآخرين، من ذوي القربى ومن زملاء العمل، ومن رؤسائه ومرؤوسيه، ومن كل من عرفه خارج ذلك المحيط من القراء وأرباب القلم. لذلك لم يكن مستغربًا أن يكون رحيله فاجعة لأولئك، وأن يحظى بما حظي به من كلمات التأبين المعبرة، وشهادات الثناء الصادقة التي خطتها أقلام محبيه لتبقى نبراسًا وشاهدًا على عبور إنسان لا يغيّب الموت ذكره!

إن ما أعادني إلى هذا الموضوع، هو صدور كتاب من كتب الوفاء عن هذا الفقيد بعنوان: (فقيد الشورى ذو الأمانتين.. مقالات تأبينية في الدكتور صالح بن عبدالله المالك)، من إعداد ابن عمه الوفي الأستاذ خالد بن حمد المالك، رئيس تحرير جريدة الجزيرة..

إن من يتصفح هذا الكتاب بصفحاته الـ ٣٧٥، ويقرأ كلمات أولئك المحبين لابد أن يلمس بين طياتها حرارة مشاعرهم الجياشة نحو الفقيد، وأن يقف على ذكرياتهم الجميلة معه، وأن يفاجأ بحجم ما تختزنه

ذاكراتهم من سجاياه الحميدة. كما سيرى صورة الوفاء أيضاً في العمل الكبير الذي قام به محبه أبو بشار من خلال تتبعه ورصده لأكثر من ١٢٠ كلمة مما كتبه أساطين العلم والثقافة، وإخراجها في هذا الكتاب المتميز شكلاً ومضموناً ليبقى وثيقة للتاريخ، وأنموذجًا من نماذج المحبة والوفاء..

إنه كتاب سيرة لم يكتبها صاحبها، وإنما كتبها المحبون من خيرة مثقفي هذا الوطن وأدبائه وأعيانه، فجاءت خواطرهم المسكونة بصدق الكلمة وجزالة التعبير لتحيل هذا الكتاب إلى لوحة أدبية بديعة، بما احتواه من كلمات راقية وقصائد حزن مؤثرة، تجعل القاري لا يملك إلا أن يحب الفقيد وأن يدعو له، وأن يحمد الله على أن يجد من هو مثله الثناء من مثل هؤلاء..

لن أعيد الحديث عن الفقيد، لأن هذا المقال ليس كلمة تأبين تتناول محاسنه، أو تعرض أعماله وإنجازاته، وإنما هي سطور كتبتها إجلالا لهذا الموقف الوفائي النبيل، وإعجابا بهذا السفر المكتوب بحروف المحبة والصدق.

أخيراً؛ لا يموت من يترك وراءه أوفياء يرفعون ذكره، ويحيون ذكراه، وطوبى لمن يرحل عن هذه الدنيا ويترك خلفه سيرة عطرة وثناء عاطراً بحجم ما تركه الراحل د. صالح المالك، وما أحسن قول الشاعر:

وإن تــك لِلْبِلَــى أمــسيت رَهْنــاً

فقــد أبقيــت مجــدا غــيرَ بــالِ..



٥١- غذاؤنا لا ترعاه أيد أمينة*

كثيرًا ما نسمع عبارة: (غذاؤكم في أيد أمينة!)، لكن واقع الحال يؤكد أن غذاءنا هذه الأيام لم يعد في أيد أمينة؛ خصوصًا في ظل سيطرة العمالة الوافدة التي أصبحت تسيطر على إنتاج الغذاء الزراعي وتسويقه في ظل غياب الرقابة الصحية الصارمة على معايير الغذاء، وفي ظل ما يتميز به المنتجون من الجهل والجشع، والسباق المحموم على جمع الثروة بأسرع طريقة!

ولا يخفى أن العمالة تسيطر على غذائنا سواء في المطاعم أو في المزارع، أو في المصانع، لكن الحديث هنا سيكون مقصورًا على المنتجات الزراعية التي تشكل الجزء الأكبر من طعامنا وتغذيتنا اليومية، فقد وجدت هذه العمالة أن المبيدات الحشرية والمخصبات الكيماوية هي أسرع الطرق لزيادة الإنتاج وتحسينه حجمًا وشكلاً على حساب

---

* الجمعة ٢١ رمضان ١٤٣٠هـ (١١/٩/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٤٩٧).

السلامة الصحية والقيمة الغذائية، غير آبهة بما تنطوي عليه تلك المواد من أخطار جسيمة على بني البشر!

وللمعلومية؛ فإنه يمكن تقسيم المبيدات الحشرية إلى: مبيدات كلوروية (مجموعة D.D.T)، أو مبيدات فسفورية، أو غيرها، وخطورة هذه المبيدات الحشرية تكمن فيما تحتويه من مواد شديدة السمومية، وشديدة الثبات في البيئة النباتية، أي القدرة على تسميم التربة لمدة قد تصل إلى ٣٠ سنة. أما تأثيرها السلبي على الإنسان فمن أهم مظاهره: اضطراب الذاكرة، وشلل الجهاز التنفسي، وإضعاف جهاز المناعة، وزيادة الحساسية الجلدية، وارتفاع ضغط الدم، والتأثير على الجهاز العصبي، ورفع نسبة احتمال الإصابة بالسرطان، وإضعاف وظائف الكبد والكلى والرئتين، وغير ذلك، فضلاً عن تلويث البيئة النباتية والحيوانية وتدميرها.

ولا شك أن العالم كله يستخدم المبيدات، لكن دول العالم المتقدم تضع شروطا ومواصفات عالية للحد من خطورتها، في حين

تتساهل الدول المتخلفة في تطبيق تلك المعايير، وتعاني من عدم الالتزام، ومن أهم تلك المعايير:

١- الالتزام بتعليمات استعمال المبيدات من حيث النوع والكمية وتركيبة المبيد وطريقة استخدامه.

٢- وجوب التوقف عن استخدام المبيدات عند اكتمال نضج الفاكهة والخضار.

٣- عدم السماح بتناول الفاكهة والخضار إلا بعد غسلها جيدًا.

٤- تحديد مدة زمنية لا يجوز تناول الثمار خلالها ولا بيعها بعد استعمال المبيد، والالتزام بذلك بشكل صارم.

وإذا كانت دول متقدمة مقارنة بعالمنا العربي، مثل اليونان وتركيا لم تتمكن من الالتزام بتلك القوانين مما جعل منتجاتها الزراعية محظورة في دول أوربا، فكيف الحال بالنسبة لنا، حيث لا أحد يلتزم بتطبيق قوانين استخدام المبيدات الصناعية، وهذا ما يجعلنا عرضة للمخاطر الصحية المتزايدة عامًا بعد عام، كما يثبت ذلك المختصون في الجهات الصحية..

ومن المعروف أن صناعة المبيدات الكيماوية قد أصبحت تجارة رائجة تدر أرباحا ضخمة على منتجيها، إذ بلغت إيرادات هذه الصناعة عام ١٩٩٦م ٣٠ مليار دولار، معظمها تأتي من أسواق العالم الثالث. ومن الكوارث الصحية والبيئية في بلدان العالم الثالث الذي نحن جزء منه استخدام أنواع من المبيدات الكيماوية محظور استعمالها في الدول المنتجة لها!

ومشكلتنا أن أجهزتنا المختصة غير قادرة على مراقبة المزارعين الذين يتولون إنتاج غذائنا سواء في الداخل أو في الدول المحيطة بنا والتي تمدنا بكل ما نحتاجه من الخضار والفواكه الملوثة التي يسوقها تجار ماتت ضمائرهم، وانفتحت جيوبهم لجمع المال، همهم الإثراء السريع حتى لو كان على حساب المواطن السعودي، ولعل هذا ما يفسر تزايد حالات السرطان، والفشل الكبدي والكلوي وغيره من الآفات في بلادنا خلال السنوات الأخيرة! ولعل هذا ما يفسر ظاهرة تزاحم الناس حاليا على شركة زراعية

وحيدة تزعم أن إنتاجها خال من المواد الكيماوية.. والخلاصة أن غذاءنا لم يعد في أيد أمينة!!



٥٢- نهج الأمير.. شِيَمٌ رسخها المؤسس*

مع فداحة الخطب، وهول المفاجأة بالحادث الجلل الذي مثله العمل الجبان في محاولة الاعتداء على صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف بن عبدالعزيز / مساعد وزارة الداخلية للشؤون الأمنية، إلا أن اندهاش العالم بما تكشف من نبل أخلاق سموه وتواضعه ولينه كان أكبر من اندهاشه بهذه المحاولة الموغلة في الدناءة، لقد انبهر العام والخاص بوضوح الأمير وعطفه وكرمه مع فئة خرجت على ولاة الأمر، ورفعت لواء الفتنة في بلد الخير وقبلة المسلمين، ونشرت الرعب والموت والدمار داخل الوطن وخارجه، فكانت أصداء هذا أكبر من أصداء الحادث نفسه.. فأظهر الله ما كنا في حاجة إلى إظهاره، مما يسر الصديق ويغيض الحاقد والحاسد:

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

---

* الجمعة ٦ شوال ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٩/٢٥م)، العدد (١٣٥١١).

لقد كشفت هذه الحادثة بالصوت والصورة للعالم أصالة هذا الأمير وسلامة منهج القيادة السعودية، وهو منهج رسخه المؤسس وسار عليه أبناؤه وأحفاده، لقد ذكرنا كلام الأمير ومنهجه القائم على الحزم والتسامح بكلام جده عبدالعزيز. ولعلي هنا أنقل لمحة موثقة تدل على ذلك النهج، وهي أنه عندما أحس من بعض المتشددين ما يدعو للريبة، بعد أن أطفأ الله فتنة الإخوان بخمس سنوات، فكان أن وقف موقفاً شجاعًا يجمع بين اللين والصلابة، والتسامح والحزم، يصور ذلك ما جاء في إحدى رسائله المؤرخة في سنة ١٣٥٢هـ، بلغة مبسطة وعبارات غير متكلفة، نقتطف منها: "... ما هو بخافيكم بما كافأنا به بعضكم من الشر، وقضى الله قضاءه، والحمد لله على إرادته، بعد ذلك عاملنا السيئ بإحسان، ونبرأ إلى الله أن نضمر لمسلم أو لأحد واثق بالله ثم بناء شرًا؛ إلا ندعوه للخير ونحكّم فيه الشريعة، ونعلمه أمر دينه، وأشوف تالي ها الوقت صاير عند بعضكم خريبيطات ما لها سنع.. أما الولاية وبلدانها وأرضها فهي لله ثم لي، وأنا بحول الله وقوته ما أمشي إلا فيما أرى أنه صالح للإسلام والمسلمين، والليالي

ولدتنا أولادها، وعرفنا كيف حالتهم، فبحول الله أن المحسن سواء أنه محسن سابقاً ولاحقاً، أو أنه مسيء ثم تاب وأحسن أمره أن نعامله بما يرضي الله ويحفظ دينه وشرفه، وأن المسيء نحكّم فيه الشريعة ونحن تبع لها.. فأنتم صار فيكم دسائس وهنهنات ما فيها فائدة، وربما جاءت من أحد اثنين: إما واحد سفيه ما يعقل شيئاً ولا عرف الدنيا؛ وإما واحد فيه بقية نفاق يتكلم بكلام حق يريد به باطلاً.. والبهرجة ما تنفع على الله ثم علينا".. انتهى كلامه.

وهكذا نرى أوجه الشبه واضحة بين أخلاق الحفيد محمد بن نايف الذي تربى في مدرسة نايف بن عبدالعزيز، وبين نهج المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن، الذي وهبه الله حنكة ورأيًا صائبًا استطاع من خلاله أن يبني هذا الكيان، وأن يَعْبُرَ بالسفينة إلى شط النجاة والأمان رغم ما أحاط به من الخصوم والمكائد والأهوال، فكأنه يقول:

وما كنت ممن بالمنى أدرك المنى

ولكن بأيام يشبن النواصيا

فلا غرابة في أن نرى الأمير الشاب بهذا الخلق الكريم وعلى هذا النهج القويم:

وما كان من مجد أتوه فإنما

توارثـه آبـاء أبـائهم قبـل

يزداد البغاة حقدا، وتزداد قيادتنا حلما، ويزدادون دناءة، ونزداد سموا وارتفاعا في الأخلاق وحسن التعامل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..



٥٣- مشروع الحمض النووي لتحديد السلالات البشرية*

يجتاح العالم العربي هذه الأيام عاصفة عارمة، وخطيرة، استقبلتها أوساط الباحثين في الأنساب والعرقيات بكثير من الذهول والاندهاش، وكعادتنا نحن معشر العرب لا نصحو إلاّ عندما تعصف بنا عواصف المكتشفات العلمية والتقنية الغربية؛ لأن السواد الأكبر منا لا يعلم أصلاً بما يدور في عالمه من مستجدات، أما القسم الآخر فينقسم بين معترض عليها، أو متحمس لها، وبين ساخر منها أو معجب بها، وهكذا يحتدم الصراع بين فريقين لا يملكان رؤية واضحة للتعامل معها، وليس لديهما وسيلة ناجعة لمنع هذه الظاهرة أو مواجهتها بكفاءة، حتى يجد الفريقان نفسيهما في النهاية وقد جرفتهما الموجة بإيجابياتها وسلبياتها..

---

* الجمعة ٤ ذو القعدة ١٤٣٠هـ (٢٣/١٠/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٥٣٩).

وتتلخص قضية الحمض النووي في أن الغرب استطاع علميًا أن يكتشف محددات السلالات البشرية، أو عمود النسب للأفراد والأسر والقبائل بطريقة علمية لا تقوم على ما توارثه أبناء العرب من انتسابات إلى قحطان أو عدنان، أو إلى هذه القبيلة أو تلك، ولا ما دونه ابن الكلبي أو الهَمْداني أو ابن حزم، بل إنها قد تنسف حتى ما توارثه المؤرخون الغربيون من تقسيم للسلالات البشرية، فقلبت هذه التقنية الكثير من المفاهيم النسَبية والمزاعم القبلية!!

لقد أصبح بإمكان اختبار الحمض النووي تحديد أصل الفرد المعاصر سواء كان عربياً أو غير عربي بصورة قاطعة، وأصبح من السهل معرفة انتماءات القبائل العربية، وتحديد جذورها وسلالاتها ومدى ارتباطها أو تباعدها، ومدى عروبتها أو عُجْمتها.. وتزداد درجة الدقة والوضوح كلما زاد عدد عينات الاختبار من القبيلة الواحدة وتفرعاتها.

ومصطلح الـ DNA اختصار لعبارة: DEOXY RIBO NUCLEIC ACID ويعني: الحمض النووي المؤكسد، الذي تتكون منه الخلية البشرية، وهو عبارة عن مجموعة من الأحماض النووية المتراصة المسماة NUCLEOTIDES التي يتركب كل منها من ثلاثة مكونات (فوسفات، سكر، قاعدة نيتروجينية).

وقد أمكن الآن معرفة عدد كبير من السلالات البشرية التي اصطلح على إعطائها مسميات عرقية (سلالية) وتصنيفها في مجموعات يحمل كل منها رمزاً فرعياً خاصاً، مثل السلالات: A وB وC وD ...إلخ. وتتفرع كل مجموعة رئيسة إلى تفرعات أقل، يمكن القول إنها تقابل البطون والأفخاذ والفصائل والخوامس.. وقد أصبح من المتعارف عليه أن العرب يشتركون في السلالة J1 بنسبة ٨٠٪ تقريباً، وأن البربر يشتركون في السلالة E3 المتفرعة من السلالة الإفريقية E، وهكذا..

واليوم يوجد عدد غير محدد من الشركات البحثية العالمية التي تقدم خدمات فحص السلالات الجينية للمستفيدين من الأفراد والطوائف والحكومات مقابل رسوم معقولة وإجراءات ميسرة. وهناك أربعة مستويات لاختبار الحمض النووي تتدرج وفق شمولية النتائج على عدد المحددات الوراثية (markers) التي يتم فحصها من عينة واحدة. وهذه المستويات الأربعة هي: ١٢ محدداً و٢٥ محدداً و٣٧ محدداً و٦٧محدداً، وأسعارها تتراوح من ٩٩ دولاراً أمريكا لأقلها، و٢٣٩ دولاراً لأعلاها. وللتوضيح فإن الفحص من نوع ١٢ محددا يفيد في معرفة النوع العام للسلالة، في حين أن الفحص الأعلى يعطي نتائج أكثر تفصيلا وتقريبا للجدود والعلاقة مع أطراف أخرى، وهكذا..

ومع أن الكثيرين يقفون موقف المتخوف من نتائج هذه التقنية، إلا أنني شخصيا أرى أن هذا الفتح العلمي جاء في الوقت المناسب بعد أن بلغ السيل الزبى من جراء العودة إلى التفاخر

بالأنساب والأحساب، ووصل الاهتمام بجانب النسب حداً غير معقول بمنهج لا يخلو من الفوضوية والغوغائية!

فهل يعود الناس إلى رشدهم؟ وهل يكتشف أصحاب التعصب لقبائل معينة ويطعنون في قبائل أخرى أنهم قد يكونون من القبائل التي تعصبوا ضدها؟!



٥٤- كارل ماركس والتفسير المادي للتاريخ*

كارل ماركس Karl H. Marx (١٨١٨ - ١٨٨٣م) ألماني من أصل يهودي، لكنه في ظاهره نشأ نصرانياً بروتستانتياً.. درس الفلسفة والتاريخ، وتأثر بآراء (هيجل)، وامتهن الصحافة الفكرية، وعاش فقيراً. ظهرت آراؤه في التفسير المادي للتاريخ في رسالته التي نشرها في بروكسل سنة ١٨٤٨م بعنوان: (بؤس الفلسفة). وقد شدد ماركس في أفكاره على أهمية العامل الاقتصادي والاجتماعي في تحريك التاريخ. وفي سنة ١٨٤٨م، نشر ماركس مع صاحبه (إنجلز) بيان الحزب الشيوعي، وهو دعوة صريحة لعمال العالم كله إلى الثورة وانتزاع السلطة، وإنشاء الدولة الاشتراكية الشيوعية. وفي سنة ١٨٦٨م أنشأ الجمعية الدولية للعمال في لندن.

---

* الجمعة ٢٥ ذو القعدة ١٤٣٠هـ (١٣/١١/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٥٦٠).

ومن أهم مؤلفاته: (صراعات الطبقات في فرنسا من ١٨٤٨ إلى ١٨٥٠م)، نُشر ما بين ١٨٥٠ و١٨٥٩م. وكتابه: (في نقد الاقتصاد السياسي)، صدر عام ١٨٥٩م. وكتابه: (رأس المال)، الذي ظهر الجزء الأول منه ١٨٦٧م. وهذا الكتاب يقدم نظرية كاملة عن طبيعة رأس المال، ويشخص النظام الرأسمالي وينقده.

ويرى ماركس أن الإنتاج المادي لمجتمع معين هو الذي يحدد صورة نظامه الاجتماعي والسياسي والفكري. ولا شك أن تطور الإنتاج عامل مهم في تطوير الجماعات وتوجيه تاريخها، وأن تقدم العلوم والتكنولوجيا يجعل الإنتاج المادي قوة لا تقهر، أي أن الأمم التي تتميز بإنتاجها الصناعي والزراعي هي التي تكون لها اليد الطولى في الاقتصاد ومن ثم في السياسة.

وما ينبغي ملاحظته أن هذا التفسير الماركسي يتناسب مع عصرنا الحالي الذي أصبح الاقتصاد هو المحرك الرئيس فيه، لكنه قد لا يتناسب مع تاريخ العصور الوسطى التي كان فيها الملوك ورجال

الدين والمفكرون هم المحركون لحوادث التاريخ.

ومن أجل إثبات صحة نظرياتهم يتمسك الماركسيون بما يسمى: الجدل المادي Material Dialectic، ومفاد هذا الجدل الماركسي: أن التطور التدريجي لا يؤدي إلى نتيجة حاسمة، ولذلك فهم يرون أن الثورة العارمة هي التي تؤدي إلى التغيير الشامل.

ويعود الفضل في نجاح الماركسية وظهورها إلى لينين (فلاديمير أوليانوفيش ١٨٧٠- ١٩٢٤م)، الذي حول آراء ماركس إلى ثورة دموية قلبت روسيا القيصرية إلى دولة شيوعية. وبمعنى آخر فإنه لولا (لينين) وثورته الدامية لما برز ماركس كمؤسس للمدرسة المادية.

ومن آراء الماركسيين أن العمل سلعة يعرضها العامل، ولذا فإنه عندما يعرضها منفرداً يكون ضعيفاً، ولا يكون له تأثير إلاّ عندما يتحد العاملون أمام صاحب رأس المال.

وقد أدخل (لينين) عنصر العنف إلى النظرية الماركسية من أجل تحقيق النظرية الماركسية التي تدعو إلى إزالة أصحاب النظام المراد تغييره، فلم يكتف بهزيمة خصومه بل لجأ إلى الإبادة، وأغرق البلاد الروسية ببحرٍ من الدماء، وبعد موته واصل خليفته (ستالين) سياسته، ولهذا سميت النظرية في مجموعها: اللينينية الماركسية .Leninist Marxism

وقد لاقت الماركسية انتقاداً شديداً من خصومها، وكان من أهم الانتقادات المضادة للنظرية الماركسية تجاهلها للجوانب الاجتماعية والإنسانية، وإنكارها لوجود مصالح مشتركة بين طبقات المجتمع (الملوك والأشراف/ المقاولين والتجار/ العمال)، وإنكار إمكانية التعايش فيما بينها. وعلى هذا الأساس فإنها تعني أنه لابد من موت الطبقات المسيطرة واستيلاء طبقة العمال من أجل إحداث التغيير الكامل، وبمعنى آخر فإنه لا مجال للتعايش ولا للديمقراطية التي تحترم آراء الخصوم وتعترف بوجودهم.

وهكذا يظهر تناقض منطق الماركسية التي تقوم على القضاء على الخصوم مع أنها تنادي بعدالة الحقوق.

لكن أهم المآخذ على الماركسية هو تبنيها الإلحاد وعدم احترامها للأديان السماوية!!..



٥٥- لم انتفض العرب على تركيا*

إن ما دعاني إلى العودة إلى هذه القضية، هو محاضرة ألقيت مؤخرًا في أحد منتديات الرياض الأدبية بعنوان: (من أبطال المقاومة العربية للوجود التركي).. أقل ما يقال عنها: إن المحاضِر لم يوفق لتقديم محاضرة موضوعية، لأنه استند على معلومات تم ترويجها في ظروف سياسية مشوشة، وتلقينها للأجيال العربية على نحو معين. فقد وصف الدولة العثمانية المسلمة بالمستعمر الاستبدادي الذي تعمد التجهيل وتغييب التعليم عن الولايات العربية، وإهمال الحرمين الشريفين، وممارسة تعذيب رموز الحرية والنهضة، وقرر أن ذلك أدى إلى انتفاض العرب، وتحرك العزة العربية في عروقهم، فقرروا تحطيم الدولة العثمانية والتحرر من استعمارها!

لا يتسع المجال للرد على كل هذه الأوهام؛ لكني أقول بإيجاز

* الجمعة ٣ ذو الحجة ١٤٣٠هـ (٢٠/١١/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٥٦٧).

شديد: لقد تجاهل هذا المحاضر الأدوار البطولية للدولة العثمانية التي في مقدمتها فتح القسطنطينية، ثم توحيد أقطار العالم الإسلامي، والوقوف في وجه الاستعمار البرتغالي خصوصًا والأوروبي عموماً الذي تغلغل في عمق العالم الإسلامي في مطلع القرن العاشر الهجري، فضلا عن صدّ المدّ الشيعي الصفوي على يد السلطان سليم الأول عام ٩٢٠هـ / ١٥١٤م. كما أنه من الإجحاف أن يسكت المحاضر عن دور السلاطين العثمانيين في الحيلولة دون استلاب فلسطين.. أما فيما يتعلق بالثقافة فقد فات هذا المحاضر أن الخط العربي لم يصل إلى أوج جماله إلاّ في العهد العثماني! وأن اللغة العربية كانت هي السائدة في الولايات العربية العثمانية على مدى أربعة قرون قبل أن يظهر تيار التتريك والقومية الطورانية التي زرعها جواسيس بريطانيا والتي تزامنت مع ظهور تيار القومية العربية!

أما التباهي ببزوغ شمس القومية العربية وانتفاض العزة

العربية في مواجهة الاستعمار التركي كما يزعم، فأقول: إن الثورة العربية لم تظهر إلا بعد أن غرس الإنجليز بذرة القومية بدهاء لتمزيق الدولة الإسلامية بعد أن أنهكوها بافتعال الحروب على حدودها، وبإشعال الثورات العرقية والطائفية من داخلها، ليت هذا المحاضر قرأ قول لورانس في مذكراته (الثورة العربية)[1]: "وقد أيقنت أن الثورة العربية ستكون السبب في تمزيق تركيا" (ص٢٧).

ولا يتورع لورانس عن كشف أساليب الإنجليز في إيقاظ القومية والثورة، إذ يأتي في مقدمة تلك الأساليب الذهب الرنان، إذ يقول بلا حياء: "وقد جئتهم بالخير والذهب، وأخذوا يتمتعون بسنوات شبع لم يروا مثلها في تاريخهم.. والذهب الإنجليزي هو الذي جعل البدو يقومون بهذه المعجزة!" (ص٢٨).

أو قوله في (ص٦٠): "وكان كيس فيصل (بن الحسين) الذي

---

(١) الكولونيل لورانس، الثورة العربية، تعريب: شعبان بركات، عمان – الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٩م.

ينفق منه يحتوي على ٢٠ ألفا من الجنيهات، وكنا ننفق بسخاء على الرجال الجدد الذين ينضمون إلينا، وندفع لهم دفعات أولية طيبة تنشيطا لهمم بدو قبيلة......؟".

وقال أيضا في (ص٨٦): ".... وأخرج كلايتون من خزانته ستة عشر ألفا من الجنيهات الذهب، وأرسلها إلى السويس إذ كان من الضروري إرسال هذا المبلغ على جناح السرعة حتى يتمكن الشريف ناصر من تسديد نفقات الجيش".

وقال في (ص٩٤) وهو يتحدث عن سير المعارك بعد الاستيلاء على العقبة: "واتفقنا أن نواصل الهجوم، وأن ندفع ثمنه، فنجعل عرب.....؟ في يسر، ونوزع عليهم الطعام والذخيرة، والمثل العربي يقول: كما تراني يا جميل أراك!".

وقال في (ص١٧٠): "وكانت ألوف الجنيهات الإنجليزية تحمل صورة الملك جورج تلعب دورها، فنغمر عرب بني....؟ بالذهب نظير ما عندهم من الشعير؛ ولم يكن لنا حاجة في الشعير بل استمالة للقلوب

بالذهب إلى القضية العربية، والعمل على تحرير شبه الجزيرة!".

ختاما، هذه ليست إلا أمثلة لتوضيح مدى الحاجة إلى إعادة قراءة الأخبار التاريخية وعدم التسليم بالمعلومات الأولية التي نتلقاها، ونقوم بترديدها دون تحقيق وتمحيص!!



٥٦- الشيعة والسنة..
لماذا إثارة التحريض والفتنة!*

إيـران دولـة إسـلامية متـصلة بالعـالم العربـي دينيـاً وجغرافيـاً وتاريخياً، ومن يدرس العلاقة بين العرب وإيران لا ينكر ما مر بعلاقات الطرفين من تقارب وتباعد على مر التاريخ الإسلامي.. غير أنه مما ينبغي أخذه بالحسبان أيضاً أن الخلافات بين الدول المتجاورة، بل بين الأقاليم المتقابلة ظاهرة طبيعية في الحياة البشرية حتى بين الأقطار ذات المذهب الديني الواحد، فالواقع المستفاد من دراسة هذا التذبذب في العلاقـات يـدرك أن الخلافـات الـسياسية تـستغل الخـصوصيات الدينيـة في أحيـان كـثيرة، فيكون الـدين مطيـة للـسياسة لتـأجيج الصراع من خلال استغلال الاختلافات المذهبية مـن قبـل الـسياسيين في الـداخل، وأعـداء الأمـتين في الخـارج، كمـا فعـل البرتغـاليون مـع إسماعيل الصفوي الذي تحالف مـع البرتغـاليين ضـد العثمـانيين في

---

* مقال لم ينشر.

مطلع القرن العاشر الهجري.

غير أن السنوات الأخيرة قد شهدت تنامياً في إثارة الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة خصوصاً بعد استيلاء أمريكا على العراق وأفغانستان، وما جرته تلك الحوادث من ويلات على العالم الإسلامي.

إن مما يثير التساؤل والاستغراب، هو أن يشعل بعض الأئمة وخطباء الجمعة في إيران بوادر الفتنة بين الشعب الإيراني وجيرانه العرب في خطب الجمعة؛ وتناولهم لموضوع انضمام الحجاز إلى الدولة السعودية عام ١٣٤٤هـ.

لم يجد أولئك الملالي ما يحرضون به الشباب الإيراني ضد المملكة إلاّ اجترار حادثة انضمام المدينتين المقدستين للوحدة السعودية قبل ٨٥ عاماً، وتضخيم عملية إزالة المباني القبورية المبالغ فيها التي كانت تمارس حولها طقوس أقل ما يقال عنها أنها كانت تشغل الناس عن العبادة الصحيحة، واستغلال ذلك

الحدث للإساءة إلى أهل السنة والسعوديين خصوصاً، وإظهارهم بأنهم يكرهون أهل البيت، مع أن المنصفين من إخواننا الشيعة يعرفون أن محبة أهل السنة لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام وزوجاته وخلفائه الراشدين وصحابته، لا تقوم على لطم الخدود وضرب الأجساد، والطواف حول أضرحتهم، وإشراكهم في الدعاء، لكنها محبة إيمانية صادقة تقوم على الدعاء لهم والترحم عليهم والدفاع عنهم جميعاً..

ففي الوقت الذي وقفت فيه الدول الخليجية موقفاً أخوياً مسؤولاً تجاه إيران في وجه التهديد الأمريكي الإسرائيلي؛ خصوصاً المملكة التي تحاول مد جسور الصداقة والتعاون مع الجمهورية الإسلامية في إيران، نفاجأ ببعض ملاليها وخطبائها يشنون حملة تحريضية ضد المملكة وشعبها من أمثال جعفر سبحاني وإمامي كاشاني وغيرهم، مثيرين دعوى قيام المملكة بهدم مراقد أئمة الشيعة في مقبرة البقيع قبل ٨٥ عاماً، وواصفين الشعب السعودي

ب- "أعراب نجد"، ومطالبين السلطات السعودية بالسماح بإعادة بناء الأضرحة وترك الناس يمارسون التبرك بها بحرية تامة.. ولم يدرك هؤلاء الأئمة أن عقيدة المملكة المبنية على منهج النبي ﷺ وصحابته الأجلاء التي تحرم تعظيم القبور، وترى أن التبرك بها يفضي إلى التعلق بالموتى وأضرحتهم، وذلك يفضي إلى الشرك بالخالق العظيم الذي شرع لنا التوحيد الخالص، وحرم علينا صرف شيء من العبادة لغيره عز وجل، فحرم علينا التعلق بالقبور والأجداث البالية، وحدد لنا الأماكن المقدسة؛ بحيث لا نستطيع إيجاد مقدسات جديدة أو عتبات طاهرة غير ما ورد في الكتاب والسنة.

نعم إن السعوديين عندما دخلوا المدينة عام ١٣٤٤هـ أزالوا كل المظاهر الشركية والممارسات البدعية وأعادوا المدينة إلى ما كانت عليه في العصر النبوي والعصر الراشدي.. أعادوها إلى ما كانت عليه في القرون الأولى عندما كانت بلا أضرحة وبلا بدع محدَثة..

أزالوا كل ما استحدثه غلاة القبوريين، ولَبّسوا به على العامة الذين حسبوه من الدين وما هو من الدين في شيء.. فعل السعوديون كل ذلك امتثالاً لمنهج محمد ﷺ وصحابته، واقتداء بهديهم، واخذاً بسنتهم التي تأمر بعدم البناء على القبور، وتحرم الطواف حولها والتوسل بها..

لا أدري كيف يتباكى عدد من خطباء الجمعة في طهران على ضرائح آل البيت، ولا يتباكون على حال المسلمين وما حدث لهم من فتن منذ أن قام أسلاف المذهب الشيعي أمثال أبي مخنف وغيره بإثارة الفتنة بين صحابة رسول الله؟ لا أدري لماذا يتباكى أولئك الخطباء ويهيجون العاطفة الدينية لدى الشباب الإيراني ضد بلاد الحرمين، ولا يتباكون على ما ألحقه غلاة الشيعة منذ إسماعيل الصفوي من تهم وافتراءات على كبار صحابة رسول الله كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة بن عبيدالله وغيرهم رضي الله عنهم؟.

فكما أظهرت روايات أبي مخنف عثمان ذا النورين رضي الله عنه بمظهر المتسلط المستغل للسلطة وأنه ولى الأشرار على الصلحاء، فقد أظهرت طلحة بأنه الثائر على عثمان، المؤلِّب عليه، وأن علياً كان يقف من عثمان موقفاً معادياً ومغاضباً؛ مع أن علياً وطلحة كانا من أقرب المقربين إلى عثمان والمحبين له والمدافعين عنه، رضي الله عنهم وأرضاهم..

لا أريد أن أخوض في النصوص الشرعية والتاريخية التي تؤكد صحة المنهج السلفي في هذا الجانب، ولا أريد أن أتوسع في الرد على بعض النصوص التي يستدل بها أولئك الملالي على جواز البناء على القبور، وهي نصوص في الغالب موضوعة بعد زمن النبي ﷺ، أو على أحاديث صحيحة فسرها المغالون تفسيرات غريبة لتخدم ممارساتهم ومغالاتهم في رفع منزلة آل البيت أو في الدعوة إلى تقديس أجداثهم..

إن إثارة الفتنة بين المملكة وإيران في هذا الوقت بالذات التي تواجه

فيها إيران عزلة سياسية وعقوبات دولية متزايدة؛ ويواجه فيه المسلمون ظروفاً سياسية واقتصادية بالغة الخطورة، ليس من مصلحة الشعب الإيراني خصوصاً، والمسلمون عموماً، بل إن المسلمين في أمس الحاجة إلى توحيد المواقف، من أجل قطع الطريق على أعداء الأمة الإسلامية الساعين إلى دأبها وتفكيكها، بل إنها من مصلحة أعداء إيران المتربصين بها!!



تم بحمد الله

قائمة إصدارات المؤلف

أولاً: مؤلفات انفرد بها المؤلف:

١- أشعار قديمة تنشر لأول مرّة، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٠هـ/١٤١٢هـ، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٥هـ.

٢- ديوان فقيد التراث الشعبي عبدالله الزامل، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٠هـ.

٣- أحديات وألقاب من قبيلة حرب وغيرها، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٢هـ.

٤- أشجان شاعر: ديوان عبدالله الزامل (فصيح)، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٢هـ.

٥- ابن مضيّان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٦- مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حرب، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٦هـ.

٧- فصول من تاريخ قبيلة حرب، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٧هـ، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ.

٨- **ملاحظات على المؤلفين والكُتَّاب حول التاريخ والأنساب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٩- **قصص وأشعار من قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٨هـ.

١٠- **من أخبار الخيل عند قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٩هـ.

١١- **التنظيمات القانونية والقضائية لدى قبائل الحجاز قبل العهد السعودي، الجزء الأول: القانون العرفي القبلي**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

١٢- **التنظيمات القانونية والقضائية لدى قبائل الحجاز قبل العهد السعودي، الجزء الثاني: القضاء العرفي وأشهر قضاته**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

١٣- **ديوان الشاعر: سبيل بن سند الحربي**، ط١، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ.

١٤- **من أخبار القبائل في نجد (٨٥٠هـ – ١٣٠٠هـ)**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤١٦هـ، ط٢، ١٤١٧هـ، ط٣، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

١٥- **بعض الأعيان وأعلام القبائل في وثائق المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة خلال العهد العثماني (٩٦٠هـ - ١٣٠٠هـ)**، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

١٦- **من أخبار الملك عبدالعزيز في مذكرات الراوي محمد العلي العبيِّد آل حمَيْد**، ط١، الكويت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ط٢، الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١٧- **أشهر القضاة وكتبة الوثائق في وادي الفرع بمنطقة المدينة المنورة**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٨- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة**، ج١، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٩- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة**، ج٢، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٢٠- **لمحات وذكريات، لعبدالله الزامل**، (تحقيق ونشر)، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٢١- **البدارين من قبيلة حرب؛** نسبهم، تاريخهم، ديارهم، ط١، الكويت، ١٤٢٦هـ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢٢- سهام الشوق (ديوان شعر فصيح)، ط١ ، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٢٣- تعريفات وإشارات (قراءة سريعة لبعض الإصدرات المعاصرة في التاريخ والأنساب)، ط١ ، الرياض، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢٤- خواطر ومساجلات (ديوان شعر عامي)، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢٥- ظاهرة التأليف في القبائل والأنساب؛ الأسباب والضوابط المطلوبة، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢٦- وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، ج٣، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٢٧- الهَمْداني ورأيه في نسب حرب بين مؤيديه ومعارضيه، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٢٨- أشهر التسميات المحلية للسنوات الهجرية، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ط٢، الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٢٩- وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، القسم الثاني: وثائق ينبع والصفراء ونواحيهما، ج١، ط١ ، الرياض، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣٠- **رسائل المحبة من صفوة الأحبة (رسائل وتهاني ومداعبات عبر الجوال)**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣١- **أعلام تشرفت بالحديث عنهم**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣٢- **أهيب بقومي: وقفات بين التاريخ والسياسية**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م (وهو هذا الكتاب).

٣٣- **أهيب بقومي: خواطر بين الذات والوطن**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

ثانياً: مؤلفات بالمشاركة مع آخرين:

٣٤- **ديوان شاعر المحاورة: صياف الحربي**، ط١، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ.

٣٥- **وسوم الإبل عند قبيلة حرب**، ط١، الرياض، سنة ١٤٢٤هـ، ط٢، سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٣٦- **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر، المفترى على شعيب الدوسري**، من إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، إصدار رقم (١٨٩)، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٣٧- **عبدالرحمن بن أحمد السديري، أمير الجوف (١٣٦٢ ـ ١٤١٠هـ)**، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، الجوف، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٣٨- **أصول الخيل العربية في مخطوطة عباس باشا**، إصدارات مكتبة الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.